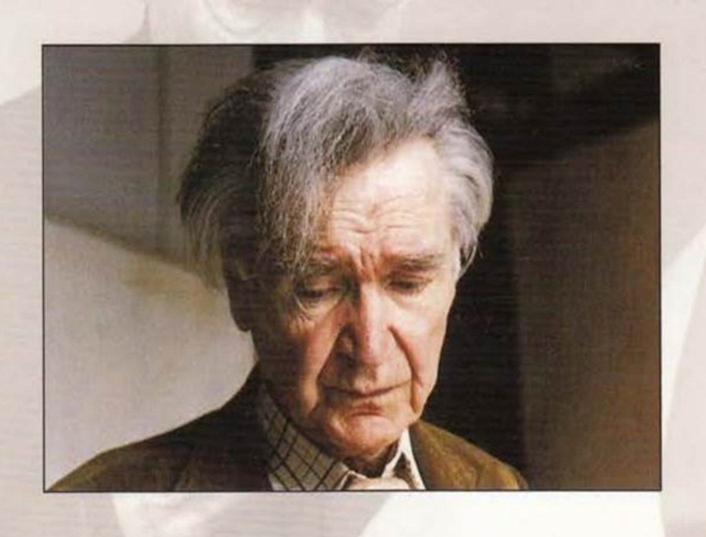
سيوران

اعترافات ولعنات



ترجمة

آدم فتحي

منشورات الجمل

سيوران، اعترافات ولعنات

سيوران

اعترافات ولعنات

ترجمة

آدم فتحي

منشورات الجمل

آدم فتحي: شاعر تونسي (١٩٥٧). له إسهامات في المقالة الصحفية والدراسة النقدية والقصة. أشرف على عدّة صفحات ثقافية. له العديد من المؤلفات الشعرية، منها: **أناشيد لزهرة الغبار**، (١٩٩٢)؛ **نافخ الزجاج الأعمى**، (٢٠١١). ومن ترجماته: شارل بودلير: **اليوميات**، (١٩٩٩)؛ جيلبرت سينويه: **ابن سينا أو الطريق إلى اصفهان**، رواية (١٩٩٩)؛ نعيم قطّان: **وداعاً بابل**، رواية (٢٠٠٠)؛ نعيم قطّان: **فريدة**، رواية (٢٠٠٦)؛ جيلبرت سينويه: **اللوح الأزرق**، رواية (٢٠٠٨)؛ إميل سيوران: **المياه كلها بلون الغرق** (٢٠٠٣)؛ إميل سيوران: **تاريخ ويوتوبيا** (٢٠١٠)؛ إميل سيوران: **مثالب الولادة** (٢٠١٥).

سيوران: **اعترافات ولعنات**، الطبعة الأولى
ترجمة: آدم فتحي

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٢٣٠٤
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

عند عتبة الوجود

نَزَلَ المسيحُ إلى الجحيم فارتابَ أبرارُ العهد القديم هابيل وأخنوخ[١] ونوح برسالته ولم يستجيبوا إلى ندائه. خُيِّلَ إليهم أنّه مبعوث الشيطان الذي كانوا يخشون مكائده. وحدَه قابيل وأضرابُه انخرطوا في مذهبه أو تظاهروا بذلك وتبعوه وغادروا الجحيم بصحبته - تلك كانت أطروحة مَرْقِيُون[٢].

«سعادة الشِّرّير»، هذا الاعتراض القديم على فكرة الخلاّق الرحيم أو على الأقلّ، المُحتَرَم، هل رسّخَها أحدٌ أفضل من هذا الهرطوقيّ الأكبر؟ هل انتبه أحدٌ بمثل هذه الفطنة إلى ما في ذلك الاعتراض من قُوّة لا تُقهَر؟

---

(١) أخنوخ (Enoch) أو هرمس: أحد الأبرار المذكورين في سفر التكوين. ولعلّه إدريس عند المسلمين.

(٢) مرقيون السينوبيّ **Marcion** (٨٥-١٦٠ م): من مواليد سينوب قرب البحر الأسود..

مُنتحِلاً صفةَ عالِم الإحاثة كلّما
واتتني الفرصة، قضّيتُ أشهُرًا عديدة أُقلِّبُ أوجُهَ الفكر في الهيكل العظميّ. النتيجة: بضع صفحات بالكاد... صحيحٌ أنّ الموضوع لا يُشجّع على الإسهاب.

أعتقدُ أنّ التعامُل بنفس الطريقة مع
الشاعر والمفكّر خطأٌ في الذوق. ثمّة مجالات ينبغي على الفلاسفة ألاّ يقتربوا منها. إنّ تقطيع أوصال قصيدة على غرار تفكيك نسقٍ فلسفيّ جُنحة بل هو تدنيس.

المُثير للفُضول أنّ الشّعراء يبتهجون حين لا يفهمون ما يُرْطَنُ به في شأنهم. الرّطانةُ تُثير زَهْوهم وتُوهِمُهم بالارتقاء. وهذا الضّعف ينزل بهم إلى مستوى شارحيهم.

العدمُ في نظر البوذيّة (بل في نظر
الشّرق عمومًا) لا يحمل تلك الدّلالة الكارثيّة التي ننسبها إليه. إنّه جزءٌ من تجربة التَّمَاسّ مع النُّور، أو هو إذا شئنا حالةٌ أبديّة من الغياب النّورانيّ والفراغ المشعّ:

إنّه الوُجود وقد انتصر على كلّ صفاته، أو لنقل إنّه لا-وُجودٌ فائقُ الإيجابيّة، سخيٌّ بسعادة لا مادّة لها ولا قوام ولا نقطة ارتكاز في أيّ عالَم من العوالم.

تُشبعني الوحدة إلى حدّ أنّي أرى
في أقلّ المواعيد شأنًا عمليّةَ صَلْب.

الفلسفة الهندوسيّة تبحث عن
الخلاص. أمّا اليونانيّة باستثناء بِيرُّون[1] وإبيقور[2] وبعض الذين
يصعب تصنيفهم، فإنّها مخيّبة للآمال: إنّها لا تبحث إلاّ
عن... الحقيقة.

قُورِنت النيرفانا بمرآةٍ لم تعد تعكس
شيئًا. مرآة غدَتْ إذَنْ أبدًا نقيّة، أبدًا بلا وظيفة.

أَطلق المسيحُ على الشّيطان اسم:
«رئيس هذا العالم»، وأراد بولس الرّسول المُزايدة فأحسن
التّسديد: «إله هذا الدّهر».

حين يُشير حُجّتان مثل هذين بالاسم إلى من يَحْكُمُنا، هل
نملك نحن الحقّ في لعب دور المحرومين من الإرث؟

---

(١) بِيرّون **Pyrrhon** أو بيرُّو (توفّي في ٢٧٥ ق.م): مؤسّس مذهب الشكّ المعروف بالبيرويّة.

(٢) إبيقور **Epicure** (٣٤١-٢٧٠ ق.م): فيلسوف يونانيّ. صاحب مدرسة الإبيقوريّة.

الإنسان حُرّ إلاّ حين يتعلّق الأمر
بما هو عميقٌ فيه. على السّطح هو يصنع ما يريد، أمّا في طبقاته
المُعتمة فإنّ «الإرادة» لفظٌ خالٍ من أيّ معنى.

كي نجرّد الحُسّاد من كلّ سلاح
علينا أن نخرج إلى الشّارع على عُكّازتين. لا شيء يُؤَنْسِنُ بِقَدْرِ
مَا أصدقاءَنا وأعداءَنا مثل مشهد سُقوطِنا.

نحن على حقّ حين نعتقد أنّنا شُهودٌ
في كلّ عصرٍ على غيابِ آخِرِ آثار الفردوس الأرضيّ.

المسيح من جديد. جاءَ في إحدى
الروايات الغنوصيّة أنّه صعد إلى السّماء نكايةً في المحتوم[١]،
كي يغيّر مواقعَ الكواكب ويمنع استطلاعَ النجوم.
في كلّ هذا الهرج والمرج، ماذا حدث يا ترى لنجمِي
المسكين؟

اِنتَظَرَ كانط أرذل العمر كي يتبيّن
عتمة الوجود ويعلن عن فشل كُلّ «عِلْمِ إلهيّاتٍ» عقلانيّ. -

---

(١) **المحتوم**: فضّلنا هذه الترجمة لعبارة Fatum ، وهي قريبة أيضًا من عبارة «المكتوب».

آخرون أوفر حظًّا منه انتبهوا إلى ذلك قبل أن يشرعوا في التّفلسُف أصْلاً.

لكانّ المادّةَ وهي الغيورُ من الحياة، لا تدّخر جهدًا في التّجَسُّسِ عليها للعثور على نقاط ضعفها ومعاقبتها على مبادراتها وخياناتها. وذلك لأنّ الحياة ليست حياةً إلاّ من خلال خيانتها للمادّة.

أنا منفصل عن كلّ إحساساتي. أنا عاجز عن فهم كيفيّة حدوث ذلك. أنا عاجز حتى عن معرفة مَنْ يُكابد تلك الإحساسات. ومن جهةٍ أُخرى، من يكون هذا ***الأنا*** الذي يفتتح هذه الجُمَلَ الثلاث؟

فَرَغْتُ للتّوّ من تَصَفُّحِ سيرةٍ ذاتيّة. فكّرتُ في أنّ الشخصيّات المذكورة لم يعد لها وجودٌ خارج هذا الكتاب. بدت لي هذه الفكرة فوق كلّ قدرةٍ على التحمّل إلى حدّ أنّي اضطجعتُ كي أتجنّب الإغماء.

بايّ حقّ تلقون في وجهي بحقائقي؟ أنتم تنسبون إلى أنفُسكم حريّةً أُنكِرُها عليكم. كلُّ ما تدّعون صحيح، أعترف بذلك. إلاّ أنّي لم أسمح لكم بأن تكونوا صُرحاء تُجاهي. (بعد كلّ سورة غضب، إحساس بالخزي

يصحبه ذلك الزّهو الثابت: «هذا على الأقلّ من صميم الحياة».
يعقبه هو أيضًا إحساس بالخزي أكبر بكثير.)

«**أنا** جبان، لا قدرةَ لي على تَحَمُّلِ
عذابِ أن أكون سعيدًا.»

يكفيني كي أنفذ إلى أعماق أحدهم، كي أعرفه حقًّا، أن أراقب ردّ فعله أمام اعتراف كيتس[1] هذا. إذا لم يفهم فورًا فلا جدوى من المواصلة.

الترويع - يا لها من خسارة أن
تكون هذه الكلمة قد اختفت مع الدُّعاة الكِبار.

لمّا كان الإنسان حيوانًا ممراضًا،
فإنّ لأيٍّ من أقواله وأفعاله قيمة العَرَض.

«**أنا** مندهشٌ لِمَوْتِ رجُلٍ مرموقٍ
مِثْلِه»، هكذا كتبتُ إلى أرملةِ أحَدِ الفلاسفة. لم أكتشف حماقةَ رسالتي إلاّ بعد إرسالِها، ولو ألحقتُها بأُخرى لجازفتُ بارتكابِ حماقةٍ ثانية. حين يتعلّق الأمر بالتّعازي فإنّ كلّ ما هو ليس كليشيه، يقترب من قلّة الأدب أو الشُّذوذ.

---

(١) جون كيتس (١٧٩٥-١٨٢١): شاعر إنجليزيّ من أهمّ شعراء الرومنطيقيّة.

كانت ليدي مونتاغيو[١] في السّبعين
حين اعترفت بأنّها كفّت عن النّظر إلى وجهها في المرآة منذ أحد عشر عامًا. غرابة أطوار؟ ربّما، لكنْ فقط، في نظر أولئك الذين لم يختبروا محنة اللّقاء اليوميّ بخِلْقَتِهم.

لا أستطيع أن أتكلّم على غير ما
أشعر به. إلاّ أنّي لا أشعر بشيء في هذه اللحظة. كلّ شيء مُلغًى في نَظري مُعَلَّقٌ بالنسبة إليّ. أحاول أَلاَّ أستمدّ من ذلك مرارةً ولا عُجْبًا. جاء في *القانون الحقيقيّ*[٢]: «خلال حيوات عديدة عشناها كم من مرّةٍ وُلِدنا عبثًا ومتنا عبثًا!»

كلّما تقدّم الإنسان، قَلَّ مَا يمكنه
اعتناقه.

أفضل طريقة للتخلّص من عدوٍّ أن
تمدحه في كلّ مكان. سيُنقَلُ إليه ذلك فيفقد القدرة على الإساءة إليك. هكذا تكون حطّمتَ دافعه.

---

(١) ليدي مونتاغيو Lady Montague (١٦٨٩-١٧٦٢): أرستقراطيّة وكاتبة إنجليزيّة.

(٢) **القانون الحقيقيّ، كنز العين** (شوبو جينزو Shôbôgenzô): كتاب ألّفه اليابانيّ دوجن Dôgen (١٢٠٠-١٢٥٣): راهب البوذيّة التأمّليّة، صاحب فرقة الزّن سوتو.

سيواصل التهجُّم عليك لكن بلا حماسة ولا دأب، لأنّه كفَّ لا شعوريًّا عن كراهيتك. إنّه مهزوم يجهل هزيمته.

نعرف مرسوم كلوديل[1]: «أنا مع كلّ جوبيتر ضدّ كلّ بروميثيوس».

مهما تكن درجةُ فقدانك كلَّ وَهْم يتعلّق بالثّورة، فإنّ من شأن مثل هذا الغُلُوّ أن يُوقظ الإرهابيَّ النّعسان فيك.

لا مؤاخذةَ لنا على من شتمْنَا. بل إنّنا على استعداد للاعتراف لهم بكلّ ما يمكن تخيُّلُه من مزايا. المؤسف أنّ هذا الكَرَم لا يوجد إطلاقًا لدى المشتوم.

لا آبه لكلّ من يستغني عن الخطيئة الأصليّة. أمّا أنا فألجأ إليها في كلّ الظّروف، ولا أرى كيف يمكنني من دونها أن أتجنّب قُنوطًا بلا انقطاع.

كاندينسكي[2] يؤكّد أنّ الأصفر لونُ الحياة.

---

(١) **بول كلوديل** (١٨٦٨-١٩٥٥): من أعلام الأدب الفرنسي في أوائل القرن العشرين. استخدم سيوران عبارة **Ukase** وتعني المرسوم الإمبراطوريّ في روسيا القيصرية.

(٢) **فاسيلي كاندينسكي** (١٨٦٦-١٩٤٤): رسّام روسي وأحد أعلام التشكيل في القرن العشرين.

. . .نفهم الآن لماذا يؤلم هذا اللونُ العيونَ إلى هذا الحدّ.

حين يتحتّم علينا اتّخاذ قرارٍ حاسم فإنّ من أخطر الأُمور أن نستشير الغير. وذلك لأنّه باستثناء بعض التّائهين، لا أحدَ يريد لنا الخير بصدق.

اختراعُ كلماتٍ جديدة يبدو في نظر السيّدة دو ستايل[1] «أوضح الأعراض الدالّة على عُقْم الأفكار».

تبدو هذه الفكرة اليوم أصحّ ممّا كانت في بداية القرن الماضي. وكان فوجلاس[2] قد قال منذ ١٦٤٩: «لم يعد مسموحًا لأحدٍ بابتكار كلمات جديدة وإن كان الملك».

على الفلاسفة أكثرَ من الكتّاب أن ينظروا في هذا المنع حتّى قبل أن يشرعوا في التفكير.

نتعلّم في ليلةٍ بيضاء أكثر ممّا نتعلّم في سنةٍ من النّوم. الأحرى أن نقول إنّ الضّرب المبرح أفْيَدُ بكثير من القيلولة.

---

(١) **البارونة دو ستايل** (١٧٦٦-١٨١٧): روائية وفيلسوفة فرنسية.

(٢) **كلود دي فوجلاس** (١٥٨٥-١٦٥٠): أحد منتسبي الأكاديمية الفرنسيّة الأوائل.

آلام الأُذنين التي عذّبت سويفت[1]
كانت جزءًا من أسباب كراهيته البشر.
لم أهتمّ إلى هذا الحدّ بعاهات غيري إلاّ رغبةً في العثور فورًا على نقاط مشتركة بيننا. يُخيّل إليّ أحيانًا أنّي قاسمتُ من أُعجِبتُ بهم كُلَّ ما عانوه من ويلات.

هذا الصباح، بعد أن استمعتُ إلى
فلَكِيٍّ يتحدّث عن مليارات الشُّموس، عدلتُ عن غسل وجهي.
ما فائدة الاغتسال من جديد؟

القَلَقُ شكلٌ من أشكال الحيرة
فعلاً، لكنّها حيرةٌ مُطَهَّرَةٌ من الخوف. إذ أنّنا حين نَقْلَق لا نخشى شيئًا باستثناء القَلَقِ نفسه.

يَمُرّ أَيٌّ كان بمحنةٍ فيتعالَى على من
لم يمرّ بها. إنّه عُجْبُ المبضُوعين الذي لا يُحْتَمل.

---

(١) جوناثان سويفت (١٦٦٧-١٧٤٥): كاتب وسياسيّ إنجليزي إرلنديّ. صاحب «رحلات جلفر».

في معرض باريس-موسكو.
قشعريرةٌ أمام بورتريه ريميزوف[1] شابًّا لإيليا ريبين[2].

بلغ ريميزوف السادسة والثمانين حين عرفته. كان يقيم في شقّة شبه خالية، ما انفكّ بوّابُ العمارة يحوك الدسائس لِطرده منها، طمعًا في تأجيرها لابنته، متعلّلاً بأنّها بؤرة تلوُّث وجُحْر فئران.

هكذا بلغ الأمر بِمَنْ كان باسترناك يرى فيه أعظم أصحاب الأسلوب في روسيا.

الفرقُ الشاسع بين الشيخ الهرِم البائس المنسيّ، وصورة الشابّ اللامع الماثل أمامي، أَفْقَدَنِي كلّ رغبة في زيارة بقيّة المعرض.

كان القُدامَى يحترزون من النجاح لا خوفًا من غيرة الآلهة فحسب، بل لأنّهم أدركوا أيضًا خُطورةَ اللاتوازن الداخليّ المرتبط بكلّ نجاحٍ في ذاتِه. إدراكهم هذا الخطر، يا له من تفوُّقٍ علينا!

---

(١) أليكسي ريميزوف (١٨٧٧-١٩٥٧): أديب روسيّ عاش في فرنسا بداية من ١٩٢٣ ومات فيها.

(٢) إيليا ريبين (١٨٤٤-١٩٣٠): رسّام أوكرانيّ.

يستحيل على من لا ينام الليل أن
يزاول عملاً. لو لم *يُمَوِّل* والداي ليالي أرقي في شبابِي لكنتُ قد قتلتُ نفسي دون شكّ.

كتب سانت بوف سنةَ ١٨٤٩[١] أنّ
الشباب أخذ ينصرف عن الشرّ الرومنطيقيّ، ليحلم مثل أتباع سان سيمون[٢]، بـ «الانتصار الساحق للصناعة».

هذا الحلم، وقد تحقّق بالكامل، ينسف الثقة في كلّ مشاريعنا، وفي فكرة *الأمل* نفسِها.

أولئك الأطفال الذين لم أرغب
فيهم. لو يعلمون بأيّ سعادةٍ هم مدينون لي.

بينما كان طبيب الأسنان يخلع
فَكِّيَّ، حدّثتُ نفسي بأنّ الزّمن هو الموضوع الوحيد الذي يمكن التّفكير فيه، وأنّي بسببه أجلس الآن على هذا الكرسيّ النّحس، حيث كلّ شيء ينهار بما في ذلك البقيّةُ الباقيةُ من أسناني.

---

(١) سانت بوف (١٨٠٤-١٨٦٩): ناقد وأديب فرنسيّ.
(٢) سان سيمون (١٧٦٠-١٨٢٥): فيلسوف فرنسيّ، عُرف أتباعه بالسان سيمونيّين.

إذا كنتُ قد احترزتُ دائمًا من فرويد
فالمسؤوليّة يتحمّلها أبِي. كان يقصّ أحلامه على أمّي فيُفسِدُ
عَلَيَّ صباحاتي كلَّها.

لمّا كان الميلُ إلى الشرّ فطريًّا فإنّنا
لا نحتاج إلى الكدّ في سبيل اكتسابِه. فورًا يشرع الطفل في
ممارسة غرائزه الشرّيرة:

وبأيّ مهارة، بأيّ كفاءة، بأيّ عنف!

حَرِيٌّ بكُلٍّ بيداغوجيا جديرةٍ بهذا الاسم أن تفكّر في دورات
تدريب على سُترة المجانين.

وربّما كان لابدّ من تَخَطّي الطفولة وتعميم هذا الإجراء على
كلّ الأعمار، خدمةً لمصلحة الجميع.

الويل لكلّ كاتِبٍ لا يتعهّد جنون
العظمة الخاصّ به، ويراه يَضْمُر فلا يردّ الفعل. هو لن يلبث أن
يكتشف أنّه لن يُصبح *عادِيًّا* من دون عِقاب.

كنتُ فريسةَ قلقٍ لا أعرف كيف
أتخلّص منه. دقّ جرس الباب. فتحتُ. فإذا امرأةٌ مسنّة لم أكن
في انتظارها على الإطلاق. ظلّت تلطمني طيلة ثلاث ساعات
بسخافات فوق الوصف حَوّلَت قلقي إلى غضب. هكذا أُنْقِذْت.

الاستبداد يُحطّم الفرد أو يُحصّنه.
الحريّة تُوهِنُه وتصنع منه دمية. للإنسان فُرَصٌ للخلاص عن طريق الجحيم أكثر ممّا لهُ منها عن طريق الفردوس.

صديقتان ممثّلتان من أوروبّا الشرقيّة. إحداهما هاجرت إلى الغرب وأصبحت ثريّة ومشهورة والأُخرى بقيت حيث هي خاملةَ الذّكر وفقيرة.

بعد نصف القرن سافرت هذه فزارت صديقتها المحظوظة. «كانت أطْوَلَ منّي قامةً والآن ها هي متقبّضة الجسم مشلولة». تلتها تفاصيل أخرى قبل أن تقول لي على سبيل الخاتمة: «أنا لا أخاف الموت، أنا أخاف أن أموت في الحياة».

لا شيء يُخفِي الثّأرَ المُرجَأ مثل اللُّجوء إلى التفلسُف.

نُتَف، خواطر هاربة، على حدّ قولكم. هل يمكن أن نقول *هاربة* حين يتعلّق الأمر بوساوس، أي بأفكار تتمثّل خاصيّتها تحديدًا في ألاَّ تهرب؟

فرغتُ من كتابة رسالةٍ شديدة الاعتدال، شديدة اللياقة، إلى شخص لا يستحقّها إطلاقًا. أضفتُ إليها قبل إرسالها تلميحاتٍ لا تخلو من بعض المرارة. أخيرًا ولحظةَ إيداعِها صندوق البريد تملَّكَني غضبٌ شديد، ومعه

إحساسٌ بالاحتقار تُجاه حركتي النّبيلة، تُجاه نوبة السُّموّ المؤسفة التي انتابتني.

مقبرة بيكبوس[١]. شابٌّ وسيّدةٌ ذهَب رونَقُها. قال الحارس إنّ المقبرة حَكْرٌ على خَلَفِ ضحايا المقصلة. قاطَعَتْهُ المرأة: -نحن منهم!

أيّ وقاحة! ربّما كانت صادقة في دعواها على كلّ حال، إلاّ أنّ هذه النبرة الاستفزازيّة دفعتني فورًا إلى جهة الجلاّد.

في إحدى المكتبات فتحتُ كتاب *المحاضرات* للمُعلّم إيكارت[٢]، فقرأتُ أنّ العذاب شديدُ الوطأة على من يتعذّب لأجل نفسِه، خفيفُ الوطأة على من يتعذّب لأجل الربّ، لأنّ الربّ هو الذي يحمل عنه العبء مهما كان مُثقلاً بعذابات البشر كافّة.

لم تقع عيني مُصادفةً على هذه الفقرة، فهي مُطابقةٌ تمامًا لحال من لن يعثر أبدًا على شخصٍ يحمل عنه أثقاله.

(١) مقبرة بيكبوس (Picpus): مقبرة خاصّة دُفن فيها ضحايا المقصلة أيّام الثورة الفرنسيّة.

(٢) المعلّم إيكارت (Meister Eckhart ١٢٦٠-١٣٢٨): الفيلسوف وعالم اللاهوت.

حسب الكابالاه، يسمح الربُّ بأنّ
مجدَه ينقص كي يستطيع الملائكة والبشر أن يتحمّلوه. أي أنّ الخَلْقَ يتزامن مع ضعفٍ في السُّطوع الإلهيّ، مع جُنوحٍ إلى الظلّ يسمح به الخالق. من مزايا فرضيّة الاكفهرار الإراديّ للربّ أنّها تَفْتَحُنا على ظلماتنا الخاصّة، المسؤولة عن عدم قابليّتنا لنوعٍ من النُّور.

الأمْثَلُ المنشود، أن يكون في
الوسع تكرارُ النفس مِثْل. . .باخ.

عُقْمٌ هائل، خارق: لكأنّي أفتتح
كينونةً ثانية على كوكب آخر، حيثُ القَوْلُ مجهولٌ في كونٍ مستعصٍ على اللغةِ عاجزٍ عن ابتكارها.

نحن لا نسكُنُ بلادًا. نحن نسكُنُ
لغة. الوطن هو ذاك ولا شيء آخر.

ثمّةَ شيءٌ من الدجّال داخل كلّ
مُتَفَوّقٍ في أيّ مجالٍ كان.

زيـارةٌ إلى مستشفى، وفي غضون
خمس دقائق، ها نحن بوذيُّون إذا لم نكن كذلك، أو بوذيّون من
جديد إذا كففنا عن كوننا كذلك.

بارمينيدس[١]. لم أرَ في أيّ مكان
هذا الوجود الذي يلهج بذكره، ولا إخالني أرتاح إلى كُرَتِه
الأرضيّة التي تبدو خالية من كلّ شرخ، لا **مكان** لي فيها.

قُبالَتِي في مقصورة القطار، امرأةٌ
فاحشةُ الدّمامة تشخر مفتوحة الفم: مُحتضِرةٌ فظيعة. ما العمل؟
كيف يُتَحمَّلُ مثل هذا المشهد؟ -فجأةً هَبَّ ستالين إلى
مساعدتي. أيّامَ شبابه وبينما كان يمرُّ بين صفّين من رجال
القيصر يضربونه بالسّياط، استغرق ذهنيًّا في قراءةِ كتاب كي
ينشغل عن الضّربات التي كانت تنهال عليه. مدعومًا بهذا المثال
انغمستُ بدوري في قراءة كتاب، متوقّفًا عند كلّ كلمة بعناية
فائقة، إلى أن كفّ المسْخُ عن الاحتضار.

قلتُ لأحد أصدقائي قبل أيّام، إنّي
لم أعد أؤمن بالكتابة لكنّي لا أرغب في التخلّي عنها، وإنّ

(١) بارمينيدس Parménide (٥٤٠-٤٨٠ ق.م): فيلسوف يوناني عُرف بمواقفه اليقينية.

العَمَلَ وَهْمٌ يمكن الدّفاع عنه، وإنّي بعد خربشةِ صفحةٍ أو حتى جملةٍ واحدة أشعر دائمًا برغبة في الصَّفِير.

الأديانُ شأنُها في ذلك شأن الإيديولوجيات التي ورثَتْ عنها رذائلَها، لا تلبث أن تنتهي إلى حروب صليبيّة على الفُكاهة.

كُلُّ الفلاسفة الذين عَرَفْتُهم كانوا بلا استثناء اندفاعيّين.

هكذا تكون عاهة الغرب قد أصابت تحديدًا أولئك الذين كان ينبغي أن يَسْلَمُوا منها.

أن يكونوا مثل الله وليس مثل الآلهة، تلك هي غاية المتصوّفين الحقيقيّين، الذين كان هدفهم أسمى من أن يتنازلوا إلى الشِّرْك.

يتثبّتون من استعدادي للمشاركة في ملتقًى خارج البلاد، لحاجتهم فيما يبدو إلى تَذَبْذُبِي.

الشكّاك الموظَّف في خدمة عالمٍ متهالك.

لن أعرف أبدًا فيم أُقيم، ولا شكّ أنّنا لا نعرف فيم يُقيم الله أيضًا، فأيُّ معنى لعبارة ***الإقامة***

في *الذات* بالنسبة إلينا نحن المفتقرين إلى أُسُسٍ داخِلَنا وخارِجَنا؟

أُفْرِط في استخدام كلمة الله،
أستخدمها باستمرار، أكثر من اللُّزوم. أفعل ذلك كلّما بلغتُ حدًّا أقصى واحتجتُ إلى لفظٍ يشير إلى ما يأتي بعد. أُفضِّلُ الله على ما لا يُتَصَوَّر.

جاء في بعض كُتب العبادات أنّ
العجز عن اتّخاذ موقفٍ علامةٌ على أنّنا غير «مغمورين بالنُّور الإلهيّ».

بعبارة أُخرى، قد يكون التردُّد، أي *الموضوعيّة* الكليّة، طريقًا إلى التّهلكة.

اكتشِفُ دائمًا ثغرةً لدى كلّ من
يشاركني الاهتمام بالأشياء نفسِها...

أن تتصفّح كتابًا عن الشّيخوخة لا
لشيء إلاّ استِجابةً لصورةِ المؤلّف. ذاك الخليط من التشنُّج والتوسُّل، وذاك التعبير الناجم عن الذُّهول المُكَشِّر. - أيّ دعاية! أيّ ضمانة!

«**هذا** العالَم لم يُخلَقْ وفْقَ ما تتمنّاه الحياة». هكذا ورد في الكنزا[1]، النصّ الغنوصيّ لطائفة المندائيّة في بلاد الرّافدين.

علينا أن نتذكّر ذلك كلّما افتقرنا إلى حجّةٍ أفضل لِدَحْرِ الخيبة.

التقيتُها من جديد بعد كلّ تلك السنوات، بعد حياة كاملة. سألتُها فورًا: «لماذا تبكين؟». ردّت: «أنا لا أبكي». والحقّ أنّها لم تكن تبكي. كانت تبتسم لي. لكنّ العمر شوّه قسماتها حتى تعذّر على الفرح أن ينفذ إلى وجهها، فإذا نحن نستطيع أن نقرأ فيه أيضًا:

«كُلُّ من لم يمت شابًّا يندم على ذلك عاجلاً أو آجلاً».

من يُخَلَّد... يُفوِّتْ سيرتَه الذاتيّة.

وفي نهاية المطاف، لا تكتمل إلاّ المصائرُ المُحَطَّمة.

ينبغي علينا ألاّ نُزعج أصدقاءنا إلاّ بمناسبة دفْنِنا، وإن كنتُ أشكّ في ذلك أيضًا.

---

(١) الكنزا رَبا (Ginza) وتعني الكنز العظيم: كتاب الصّابئة المندائيّين.

القَلَق، الموصومُ بالطّيش، يتيح لنا
في الحقيقة رؤية الهاوية التي تنبعث منها حاجتُنا إلى الصّلاة.

«**لم** يخلق الله شيئًا أبغض إليه من
هذا العالم. وبلغ من بغضه له أنه لم يلتفت إليه منذ أتمّ خلْقَه».
لا أعرف من كان المتصوّف المسلم الذي كتب هذا الكلام.
سأظلّ أجهل اسمَ هذا الصّديق.

ورقةُ المُحتضرين الرابحة
والحاسمة: قُدْرَتُهم على التفوّه بالسّخافات دون أن يخافوا على
سمعتهم.

اعتكف شيشرون[1] في الريف فريسةً
للحزن إثْرَ وفاة ابنته تُوليا، وأخذ يوجّه إلى نفسه رسائل تعزية.
كم هو مؤسف أن تكون تلك الرّسائل قد ضاعت، وكم هو
مؤسف أكثر ألاَّ تكون تلك الطّريقة العلاجيّة قد أصبحت
مألوفة. لو تمّ تَبَنِّيها لأعلنت الأديانُ إفلاسَها منذ زمنٍ طويل.

---

(١) ماركوس توليوس شيشرون (Cicéron) ولد حوالي ١٠٦ ق.م): الكاتب
الروماني والخطيب.

مِيراثٌ لا ينازعنا فيه أحد:
السّاعات التي لم نعمل فيها شيئًا. تلك هي التي تكوّننا، تصنع منّا أفرادًا، تجعلنا *غير متشابهين*.

مُحلِّلٌ نفسانيّ دانماركيّ ذهبَ إلى
زميلٍ له يبحث عن علاجٍ شافٍ من نوبات صداعٍ نصفيٍّ لا تنقطع، وحين لم يُجْدِه ذلك نفعًا لجأ إلى فرويد فشفاه هذا الأخير في غضون أشهر. فرويد هو الذي يؤكّد لنا الأمر ونحن نصدّقه بكلّ يسر. ليس في وسع التلميذ مهما بلغت به الحال من سوء أَلاَّ يشعر بالتحسُّن عند اتّصاله اليوميّ بمعلّمه. أَيُّ علاجٍ أفضل من أن ترى ذاك الذي تُجِلُّ أكثرَ من أيٍّ كان في العالم يعنَى بهمومكَ كلّ هذا الوقت. قليلةٌ هي العاهات التي لا تقبل بالاستسلام أمام كلّ هذه العناية. لنتذكّر أنّ المعلّم كان يملك كلّ مواصفات مؤسّس الطائفة المتنكّر في زيّ رجل العلم. وإذا حصل على حالات شفاء فإنّ ذلك ليس راجعًا إلى منهجه بقدر ما هو راجعٌ إلى *إيمانه*.

«**الشيخوخة** هي الأمر الذي يُباغت
الإنسان أكثر من كلّ الأمور الأخرى التي تحدث له». تلك كانت ملاحظة تروتسكي قبل سنوات قليلة من نهايته.

لو أتيح له في شبابه هذا الحدس الدّقيق العميق بهذه الحقيقة - أيّ ثوريّ بائس كان يكون.

المآثِرُ ليست ممكنة إلاّ في المراحل
التي لم تَجْتحْهَا بَعْدُ السّخريةُ من الذات.

كانت قِسْمَتُهُ أَلاَّ يتحقَّقَ إلاّ نصْف
تَحَقُّق. كلّ شيء مبتورٌ فيه: طريقته في الحياة مثل طريقته في
التّفكير. صاحبُ شذرات. شذرةٌ هو نَفْسُه.

الحُلْمُ يُلغي الزّمنَ فيُلغِي الموت.
يستغلّ الموتى ذلك لإزعاجنا. البارحة حضَرَنِي أبي. كان كما
عرفتُه دائمًا وعلى الرّغم من ذلك تردّدتُ للحظة. ماذا لو لم
يكن هو؟ تعانقنا على الطريقة الرُّومانيّة، لكن كما هو الشأن معه
دائمًا، من دون إفاضة، من دون دفء، من دون الحركات
الاستعراضيّة المألوفة لدى شعب منفتح. بسبب تلك القبلة
المحتشمة، الجليديّة، علمتُ أنّه هو حقًّا. استيقظتُ وأنا أحدّث
نفسي بأنّنا لا نُبعَثُ إلاّ دُخَلاء، مفسدي أحلام، وأنّ هذا الخلود
المزعج هو الوحيد الكائن.

الإلتزامُ بالمواعيد تنويعٌ على «جنون
الوسواس». لأجل الوصول في الموعد المُحدَّد قد لا أتورّعُ عن
ارتكاب جريمة.

ننزعُ أحيانًا إلى إدراج الفلاسفة ما
قبل السّقراطيّين في مرتبةٍ أدنى بالنسبة إلى زعماء الهراطقة،
الذين شُوِّهَت أعمالُهم أو أُتلِفت، ولم يبق منها إلاّ مقاطع من
جُمَل، غامضة كما يُرام.

لماذا نشعر بعد كلّ عملٍ صالِحٍ
بالرّغبة في السير وراء رايةٍ مَا؟
حركاتُنا السخيّة تتضمّن بعض الخطورة: إنّها تُفْقِدُنا العقل.
إلاّ إذا كنّا أسخياء بسبب فقداننا العقلَ تحديدًا، باعتبار السّخاء
ضربًا من السُّكْر الواضِح.

كُلّما بدا لي المستقبَلُ قابلاً للتصوُّر،
أحسست بأنّي حَظِيتُ بِنِعْمَة.

لو كان في الوسع تحديدُ عَيْبِ
التّصْنِيع، الذي يحمل الكونُ أَثَرَهُ بوضوح!

أُصابُ دائمًا بالدّهشة حين أرى إلى
أيّ حدٍّ باتت المشاعرُ الدّنيئةُ حيّةً، عاديّة، منيعة.
نُجَرِّبُها فنشعر بأنّنا منتعشون، مُدْمَجُون من جديد في
المجموعة، مُتساوُون مع أشباهِنا.

إذا كان الإنسان ينسى بهذه السهولة
أنّه ملعون، فلأنّه كذلك منذ البداية.

النقدُ معنًى معكُوس. علينا أن نقرأ
لا لنَفهم غيرَنا بل لنَفهم أنفُسَنا.

من يرى نفسه *كما* **هو** يرتفع درجةً
أعلَى من باعث الموتى. كلام منسوب إلى أحد القدّيسين. أَلاَّ نعرف أنفسنا هو قانونُ كُلٍّ منّا، والخروجُ على هذا القانون لا يخلو من مجازفة. الحقيقة أنّه لا أحد يملك الشّجاعة للخروج عليه، وهو ما يفسّر مُبالغة ذلك القدّيس.

أن نُقلّد جوبيتر أسهل من أن نُقلّد
لاو تسو.

الحرصُ على متابعةِ كُلِّ ما يَجِدُّ
أمارةٌ على عقلٍ متقلّب، لا يسعى وراء أيّ شيء شخصيّ. عقل غير صالح للوسواس القهريّ، ذلك المأزق الذي لا نهاية له.

كان رجل الكنيسة المرموق يتهكّم
على الخطيئة الأصليّة. قلتُ: «تلك الخطيئة هي مصدر رزقكم. من دونها تموتون جوعًا ولا يبقى لِكَهَنُوتِكم معنًى. لماذا جاء

المسيح لو لم يسقط الإنسان منذ البداية؟ ليفتديَ مَنْ وماذا؟» لم يردّ على اعتراضاتي إلاّ بابتسامةٍ عَجْرفة.

تَهْلَكُ كُلُّ ديانة متى ظلّ خُصومُها وحدَهُم يبذلون وسْعَهم للمحافظة على سلامتها.

الألمان لا ينتبهون إلى أنّ من السخْف وضْعُ كتابٍ لباسكال وآخر لهيدغر في كيسٍ واحد. البونُ شاسعٌ بين مصيرٍ ومهنة.

صمتٌ حادّ يقطع مُحادثة، فيعود بنا فجأة إلى ما هو جوهريّ: يكشف لنا عن الثّمن الذي علينا أن ندفعَ مُقابل اختراع الكلام.

ألاّ يظلّ لي شيء مشترك مع البشر سوى أنّي بشر.

ينبغي على الإحساس بلوغُ الدّرك الأسفل كي يتفضّل بالتحوّل إلى فكرة.

الإيمان بالله يعفيك من الإيمان بأيّ شيء آخر - وهي ميزةٌ لا تُقدّر بثَمَن.

حسدتُ دائمًا أولئك الذين يؤمنون به، على الرغم من أن تصديق الله يبدو لي أسهل من الإيمان بالله.

الكلمة المُشَرَّحة لم تعد تدُلّ على
شيء، لم تعد شيئًا. كالجسد الذي يُصبح بعد التشريح أقلَّ من جثّة.

ليس من رغبةٍ إلاّ وهي تثير فِيَّ رغبةً
مُضادّة. حتّى إنّي مهما فعلتُ لا أرى قيمة إلاّ لما لم أفعل.

سارفام أنيتيام = كلٌّ شيءٍ انتقاليّ
(البوذا).

عبارةٌ ينبغي علينا أن نكرّرها في كلّ ساعات النّهار، حتّى إن كانت مُخاطَرةً - مُذهلة - بالحياة.

لا أعلم أيّ ظمأ شيطانيّ يمنعني من
أن أنقُض عَهْدِي مع نَفَسِي.

فقدانُ النّوم وتغييرُ اللّغة محنتان:
الأولى خارجة عن نطاق الذات والثانية عن قصد. وحيدًا وجهًا لوجهٍ مع اللّيالي والكلمات.

الأصحَاءُ ليسوا حقيقيّين. إنّهم يملكون كلّ شيء عَدَا الكيان، الذي لا تمنحه إلاّ صحّةٌ بعيدةُ الاحتمال.

لعلّ إبيقور أفضل من عَرَف من بين القدامى كيف يحتقر الدّهماء. سبب آخر للاحتفاء به. يا لها من فكرة أن يضع في تلك المرتبةِ مُهرِّجًا كديوجين. في تلك الحديقة كان عليّ أن أسكن. ليس في الأغورا ومن باب أولى ليس في البرميل.

(إلاّ أنّ إبيقور نفسه خيّب ظنّي أكثر من مرّة. ألم يتّهم ثيوغنيس الميغاريّ[1] بالغباء حين زعم أنّ من الأفضل لنا ألاّ نُولَد، وإذا وُلِدْنَا فإنّ من الأفضل لنا أن نجتاز في أسرع وقتٍ أبواب الجحيم؟)

كتب الشابّ توكفيل: «لو كنتُ مُكَلَّفًا بترتيبِ نكبات الإنسان لفعلتُ حسب التّرتيب التّالي: المرض، الموت، الشكّ.» الشّكُّ بصفته نكبة! ماكنتُ لأستطيع الدّفاع عن رأي كهذا إطلاقًا. إلاّ أنّي أفهمه كأنّي أعربتُ عنه بنفسي في حياةٍ أُخرَى.

---

(١) ثيوغنيس الميغاري (Théognis de Mégare): شاعر ميغارا (٥٧٠ ق م) الذي يُنسب إليه النّصيب الأكبر ممّا بقي من المراثي الهلينستيّة.

«**سوف** تَحُلُّ نهايةُ الإنسانيّة حين يُصبح الجميع مِثْلِي». هكذا صرّحتُ ذات يوم، في سَوْرَةٍ ليس من شأني توصيفُها.

ما إن صرتُ خارجًا حتى هتفتُ:
«كم هي رائعةٌ باروديا الجحيم».

«**على** الآلهة أن تجيء إليّ وليس عليّ أن أذهب إليها». هكذا ردَّ أفلوطين على تلميذه أميليوس الذي كان يريد استصحابه إلى طقسٍ دينيّ. لدى من يمكن العثور، في العالم المسيحيّ، على مثل هذه النوعيّة من الكبرياء؟

لم يَكُنْ بُدٌّ من تَرْكِهِ يخوض في كلّ شيء، مع السّعي إلى فَصْلِ العبارات الخاطفة التي تفلتُ منه. كان ثَوَرانًا لفظيًّا خاليًا من المعنى، مصحوبًا بحركات درويش دجّالٍ ومخبول. للوقوف على مستوى واحدٍ معه كان لابدّ من أن نهذي مثله، وأن نتفوّهَ بحِكَمٍ فخْمةَ ومُتفكّكة. حديثٌ على انفراد، بعد الموت، بين أشباح متحمّسة.

في سان سيفران[1]، وأنا أُنصت إلى
فنّ الفوغه على الأورغ، ظللت أقول في نفسي وأُكرّر: هذا هو
الردّ على كلّ لعناتي.

(١) سان سيفران (Saint-Séverin): كنيسة في الحيّ اللاتينيّ بباريس.

كُسُور

حين نكون قد خرجنا من دائرة
الأخطاء والأوهام التي تدور داخلها الأفعال، يُصبح اتّخاذُ موقفٍ شيئًا قريبًا من المستحيل. لابدّ من قَدْرٍ أدنى من البلاهة في كلّ مجال، لأجل أن نؤكّد وحتى لأجل أن نُنْكِر.

كي نتبيّن ما هو جوهريّ علينا ألاَّ
نمارس أيّ مهنة. أن نبقى طيلة النّهار مضطجعين، وأن نئنّ...

كُلُّ ما يضعني في اختلاف مع العالم
هو جزء من وحدتي الجوهريّة. لم أتعلّم إلاّ القليل عن طريق الاختبار. خيباتي كانت دائمًا تسبقني.

ثمّة مُتْعةٌ لا يمكن إنكارُها في
إدراكِنَا أنّ كُلَّ ما نقوم به ليس له أيُّ أساسٍ حقيقيّ، وأنَّ الأمرَ واحدٌ، أَتَيْنَا الفعلَ أم لم نَأْتِه. هذا لا يمنع أنّنا نتحاورُ مع

اللاّجدوَى في تصرّفاتنا اليوميّة. أي أنّنا، بالتّناوُب حينًا وبالتّزامن أحيانًا، نعتبر هذا العالم حقيقيًّا وغير حقيقيّ. نخلط الحقائق النقيّة بالحقائق الملوّثة، وهذا الخليط، الذي هو عارُ المفكّر، هو ثأرُ الحيّ.

ليست الأمراض الحادّة هي التي تؤثّر فينا، بل الأمراض الصامتة، الملحاح، المُحْتَمَلة، التي تصبح جُزءًا من رُوتِينِنَا اليوميّ، وتقوّضنا بالعناية نفسها التي يُقوّضنا بها الزّمن.

ليس في وسعنا أن نتجاوز ربعَ السّاعة، دون أن ينفدَ صَبْرُنا أمامَ يأسِ الآخر.

ليس للصّداقة فائدةٌ ولا أثَرٌ إلاّ حين يكون المرءُ شابًّا. أمّا المُسِنّ، فالبديهيّ أنَّ أخشى ما يخشاه، أن يعيش أصدقاؤهُ بَعْدَه.

في إمكاننا تخيُّل كلّ شيء، التنبُّؤُ بكلِّ شيء، عدا شيء وحيد: إلى أيّ حدٍّ يُمْكِنُنا السُّقوط.

ما يشدُّني حتى الآن إلى الأشياء،
لهفةٌ موروثةٌ عن الأسلاف، الذين دفعوا فُضولهم تجاهَ الوُجود
إلى حدّ السّفالة.

لابُدَّ أنّ التّباغُض كان شديدًا في
عتمة الكهوف ونتانتِها. من ثَمَّ نفهم لماذا عزف الرّسّامون الذين
كانوا يتعَيَّشُون هناك عن تخليد وجوه أشباههم، مُفضِّلين عليها
وجوه الحيوانات.

«**أمّا** وقد تخلّيتُ عن أن أكون
قدِّيسًا...»
– حين أُفكِّرُ أنّي كنتُ قادرًا على التفوّه بمثل هذه الفظاعة!
لابدّ أنّي كنت أملك عذرًا، ولن أقطع الأمل في العُثور عليه.

بعيدًا عن الموسيقى كلُّ شيءٍ
كَذِب، حتّى العُزلة، حتّى النّشوة. إنّها في الحقيقة هذه وتلك
بشكلٍ *أفضل*.

كم تُصبِح الأُمورُ كلُّها بسيطة مع
التقدُّم في السنّ. في المكتبة أطلُب أربعة كُتب. اثنان بحروف
صغيرة جدًّا، أزيحهما من دون فحص. الثالث مُفرِطٌ

في. . . الجديّة، يبدو لي غير قابل للقراءة. أحمل الرّابع من دون يقين.

نستطيع أن نفخر بما أنجزناه، إلاّ
أنّ علينا أن نفخر أكثر بما لم ننجزه. هذا الفخر لم يُختَرَع بعد.

بعد سهرةٍ برفْقَتِه تخرجُ منْهكًا، لأنّ
الاضطرار إلى ضبْطِ النّفْس وتجنّب أيّ تلميح قد يراه جارحًا (وكان كلّ شيء يجرحه) يتركك في النهاية خائر القوى، غير راضٍ لا عنه ولا عن نفسك. تؤاخذُ نفسَك على انحيازك إلى رأيه بسبب وساوسَ مُبالَغٍ فيها إلى حدّ الخِسّة. تحتقر نفسَك لأنّك لم تنفجر بل التزمتَ بممارسة كياسةٍ مُرهقةٍ كلّ الإرهاق.

لا نقول في شأن كلبٍ أو فأرٍ إنّه
فانٍ. بأيّ حقٍّ احتكر الإنسان هذه الميزة؟ ليس الموتُ لُقْيَتَه على كلّ حال. وإنّها لأمارةٌ على الغرور أن يظنّ نفسَه المُستفيد الوحيد منه.

بِقَدْرِ ما تضعفُ الذاكرة، تنسحبُ
المدائح التي أُغْدِقَت علينا وتتقدَّمُ المَذامّ. وذاك عَدْل: إذ نادرًا ما كانت الأولى مُستَحقَّة، أمّا الثانية فهي تسلّط بعض الضّوء على ما كنّا نجهلُه منّا.

لو وُلدتُ بوذيًّا لبقيتُ كذلك. أمّا وقد وُلدتُ مسيحيًّا، فقد كففتُ عن كوني كذلك منذ شبابي الأوّل، أيّام كان في وسعي أكثر بكثير من اليوم، أن أزايد على غوته في تجديفه، لو اطّلعتُ عليه، حين كتبَ سنة وفاته في رسالة إلى زيلتر[١]: «الصّليبُ أبشعُ صورةٍ وُجِدت تحت السّماء».

كثيرًا ما يتراءى لنا الجوهريُّ في خاتمة محادثة طويلة. الأفكارُ الكُبرى تُقال على عتبة الباب.

ما تقادَمَ لدى بروست هو تلك التفاصيلُ المشحونة بدُوارٍ مهذار. روائحُ العفونة المتصاعدة من الأسلوب الرمزيّ. مراكمةُ التأثيرات. الإشباعُ الشعريّ المُفرط.

لكأنّ سان سيمون وقع تحت تأثير المتحذلقات[٢]. ولو حدث ذلك لما قرأه أحدٌ اليوم.

---

(١) كارل فريديريش زلتر Zelter (١٧٥٨-١٨٣٢) مؤلّف موسيقيّ وقائد أوركسترا ألمانيّ.

(٢) المتحذلقات Les précieuses: نسبة إلى حركة أدبيّة فرنسية، أبرز عناصرها أديبات، ظهرت بين ١٦٢٦ و١٦٦٢، وسخر منها موليير في "Les précieuses ridicules".

الرّسالةُ الجديرةُ بهذه التسمية تُكتَبُ
تحت طائلة الإعجاب أو الاستنكار، أي المبالغة إجمالاً. من ثمّ نُدرك لماذا تُولَدُ الرّسالةُ الرّصينةُ ميتة.

عرفتُ من الكُتّاب البُلَداء وحتّى
الحمقى. أمّا المترجمون الذين أتيح لي أن أقابلهم فكانوا أكثر ذكاءً وإثارة للاهتمام من المؤلّفين الذين كانوا يترجمونهم. وذلك لأنّنا نحتاج إلى التّفكير عند التّرجمة أكثر ممّا نحتاج إليه عند الإبداع.

عَلَى كُلِّ من يُعتَبَرُ «فَذًّا» في نظر
خُلَصائِه ألاّ يُقيم الدّليل على نفسه. عليه أن يحترس جيّدًا من ترك آثار. عليه خاصّةً ألاّ يكتب، إذا كان يرجو أن يبدُوَ يومًا في نظر الجميع كما بدا في نظر البعض.

تغييرُ الكاتِبِ لُغَتَهُ يُعادلُ كتابةَ
رسالةٍ غراميّة بوساطةِ مُعْجَم.

«**أشعر** بأنّك بتّ تكره ما يفكّر فيه
الآخرون مثلما تكره ما تفكّر فيه أنت نفسُك». هكذا قالت لي على الفور بعد فراقٍ بتلك الوطأة.

كانت تستعدّ للرحيل ثانيةً حين روت لي تقريضًا صينيًّا،

مفادُهُ أنْ لا شيء يُساوي نسيان الذّات. هي، الكائن الأكثر حضورًا، الأثقل طاقةً داخليّة وطاقةً في المُطلق، الأكثر التصاقًا بأناها، المشحونة بذاتها فوق كلّ تصوُّر.

- على أساس أيّ سوء تفاهم أصبحت تُعظّمُ الانسحاب، إلى حدّ الظنّ بأنّها تُجسِّدُ في نَظَرِنا نموذجه المثاليّ؟

سيّءُ التربية إلى حدّ غير مقبول، شديدُ البخل، قذِر، وَقِح، فَطِن، مدركٌ لأدقّ الفويرقات، يصرخ فرَحًا أمام مُغالاةٍ أو مزحة، دسّاسٌ ونمّام. . .، كلّ شيءٍ فيه كان جذّابًا ومنفّرًا. وغْدٌ نتأسّف عليه.

مهمّةُ كُلٍّ مِنّا أن يكفل النجاح للأُكذوبة التي يُجسّدها. أن يتمكّن من ألاّ يكون سوى خِدْعةٍ مُسْتَنْزَفة.

الوعيُ: تضْحيةٌ لا تنقطع. عَمَلٌ فذٌّ لا يمكن تخيُّله.

أولئك الذين يريدون الإفضاء إلينا بأخبارهم الفاضحة، يُعوّلون بِكَلْبِيّةٍ على فُضولنا كي يُشبعُوا حاجتهم إلى الكشف عن أسرارهم. هم يعلمون جيّدًا في الوقت نفسِه، أنّنا أشدُّ غيرةً من أن نعمد إلى إفشائها.

ليس غيرُ الموسيقَى لإنشاء شراكةٍ
لا تنفصم بين كائنين. العاطفة قابلةٌ للفساد، تتلف مثل كلّ ما ينتمي إلى الحياة. أمّا الموسيقى فهي من جوهرٍ أرقى من الحياة، وبالتالي من الموت.

إذا لم أكن شغوفًا بالغموض فلأنّ
كلّ شيء يبدو لي غير قابل للتّفسير. ماذا أقول؟ بل لأنّي أعيشُ على ما هو غير قابل للتّفسير، وشبعان منه.

فلان ما انفكّ يلومني على أنّي
أتصرّف كمُتفرّج، لا أشتركُ في أمر، لا أحفل بجديد. - أجبتُه: «لكنّي لا أريد تغيير شيءٍ إطلاقًا».
لم يُدرك معنى جوابي. حسِبَني متواضعًا.

لُوحِظَ عن حقٍّ أنّ الرّطانة الفلسفيّة
تَعْبُرُ بسرعةِ عُبُورِ الرّطانة العاميّة. السّبب؟ الأولى مُتكلّفةٌ أكثر من اللُّزوم والثانية حيّةٌ أكثر من اللُّزوم. إفراطان هدّامان.

يعيش أيّامه الأخيرة منذ شُهور،
منذ سنوات، مُتحدّثًا عن نهايته بصيغة الماضي. حياة مَنْ فارَقَ الحياة. أدهشني أن ينجح في الصُّمود على الرّغم من أنّه لم يكن يأكل شيئًا يُذْكَر. «روحي وجسَدِي لا يقويان على الفراق لِفَرْطِ

ما بذلا من وقتٍ وعنادٍ كي يلتحما». إذا لم يكن له صوتُ مُحْتَضِرٍ فلأنّه لم يعد حيًّا منذ مدّة طويلة. «أنا شمعة منطفئة». تلك كانت أصدق العبارات التي وصف بها تحوُّلَه الأخير. كُلّما ألمحتُ إلى إمكانيّة حدوث معجزة كان ردُّه: «يحتاج الأمر إلى أكثر من واحدة».

بعد خمسة عشر عامًا من العزلة المُطلقة، أصبح سان سيرافان دو سارو[1] يهتف بين يدي أيّ زائر: «يا لَفَرَحِي»!

هل ثمّة في أولئك الذي لم يكفّوا عن محاذاة أشباههم، مَنْ هو غريب الأطوار إلى حدّ أن يحيّيهم بهذه الطريقة؟

أن تظلّ حيًّا بعد كتابٍ مُدمِّر، ليس أقلّ صعوبةً على القارئ منه على المؤلّف.

يجب أن نكون في وضعٍ قابليّةٍ للتأثّر، أي في حالة ضعْفٍ بدنيّ، كي تؤثّر فينا الكلمات، كي تتسلّل إلى داخلنا وتبدأ هناك نوعًا من الحياة المهنيّة.

---

(١) بروخر سيرافيم ساروفسكي **Saint séraphin** (١٧٥٩-١٨٣٣): قدّيس الأورثودوكسية.

أن يُسمّى *قاتِلَ إله*، هي الشّتيمة
الأكثر إثارة للزّهو، التي يمكن أن تُوَجَّه إلى فردٍ أو شعب.

رعشةُ الجِماع ذروة. اليأسُ أيضًا.
إحداهما تستغرق لحظةً. الأُخرى تستغرق حياةً.

كان لها جَمالُ كليوبترا. بعد سبع
سنوات: بات في وسعها أن تطلُب حسَنَةً عند زاوية أحد
الشوارع. - أمرٌ يشفيك أبدًا من كلّ هيام، من كلّ رغبة في
البحث عمّا لا يُسْبَرُ غَوْرُهُ في عينين، في ابتسامة، إلى آخره.

لِنَكُنْ عاقِلين: ليس في وسع أيٍّ
كان أن يكُفَّ تمامًا عن المبالاة بأيّ شيء. في غياب خيبةٍ كونيّة
لا مجالَ لوُجودِ معرفةٍ كونيّة.

كُلُّ ما لا يتفطّرُ له القلب زائدٌ عن
الحاجة. في الموسيقى على الأقلّ.

إذَا صَدَّقْنَا نيتشه فإنّ برامز يمثِّلُ كآبَةَ
العجز. هذا الحكم الذي أدلى به وهو على عتبة انهياره أكمدَ
بريقه إلى الأبد.

ألاّ تكون أنجزتَ شيئًا، وأن تموت
في صورة المُجْهَد.

هؤلاء المارَّةُ المُستَبلَهون. - كيف
انتهى بنا الأمر إلى هذا الحدّ؟ كيف يمكننا تخيُّل مثل هذا
المشهد في العصور القديمة، في أثينا مثلاً؟ دقيقة واحدة من
الوعي الحادّ وسط هؤلاء الملاعين، وتنهار كلّ الأوهام.

كُلّما ازددنا كراهيةً للبشر ازددنا
نُضْجًا لله. للحوار مع لا أحد.

يذهب التّعب الشديدُ بعيدًا بمقدار
ما تذهب النّشوة. عدا أنّك مع التعب الكبير *تنزل* إلى أقاصي
المعرفة.

تمامًا مثلما كان ظُهورُ الصّليب قد
قَطعَ التّاريخَ نصفين، ها هي هذه اللّيلة تقطعُ حياتي نصفين.

ما إن تصمت المُوسيقَى حتى يبدُوَ
كُلُّ شيءٍ مُتَرَدِّيًا عديمَ الجدوَى. نفهم من ثَمَّ لماذا يمكن أن
تُكرَه ولماذا يعنّ للبعض تشبيه مُطلَقِها بالغشّ. وذلك لأنّه لابدّ

من ردّ الفعل تجاهها مهما كان الثّمن إذا كنّا نحبّها أكثر من اللّزوم. لم ينتبه أحد إلى خطورتها مثل تولستوي لأنّه كان يعلم أنّها تستطيع أن تصنع منه ما تريد. من ثَمَّ شرع في بغضها كي لا يصبح لعبتها.

التَّخَلِّي هو التّنويعُ الوحيد على الفعل الذي لا يحُطُّ من قَدْرِ الإنسان.

هل يمكننا أن نتصوّر ابنَ مدينةٍ لا يحمل رُوحَ قاتِل؟

أَلاَّ نحبّ إلاّ الفكرةَ غير المُحدّدة التي لا تبلغ الكلمة، والفكرةَ الآنيّة التي لا تعيش إلاّ بوساطة الكلمة. الهذيان والدُّعابة.

شابٌّ ألمانيّ طلب منّي فرنكًا. تبادلنا الحديث فعلمتُ أنّه جال في العالم وذهب إلى الهند وأُعجب بمُشَرّديها الذين يتباهى بأنّه يشبههم. غير أنّ الانتماء إلى أمّة جدليّة لا يمكن أن يمرّ من دون عقاب. نظرتُ إليه يستعطي فخُيِّلَ إليّ أنّه تلقّى دروسًا في التسوّل.

بحثت الطّبيعةُ عن صيغةٍ قادرةٍ على
إرضاء الجميع فوقع اختيارها على الموت. وكما كان مُتوقَّعًا،
لم يكن للموت أن يُرضي أحدًا.

ثمّة لدى هيرقليطس شيءٌ من
دلفي[1] وشيءٌ من الكتاب المدرسيّ، خليطٌ من اللمحات
الخاطفة والقواعد. المُلْهَم والمُعلِّم. كم هو مؤسفٌ أَلاَّ يكون
قد صرَف النّظَر عن العلم، أَلاَّ يكون قد فكّر دائمًا من خارج
العلم.

هاجمتُ باستمرار كُلَّ شكلٍ من
أشكال الفعل، إلى حدٍّ أنّي لو تصرّفتُ بأيّ طريقةٍ كانت، لبدَا
لي ذلك تدجيلاً، وربّما خيانة. -«أنت تستمرّ على الرّغم من
ذلك في التنفّس». - أجل. أفعل كلّ ما يُفعَل. لكن...

يَا لَهُ من حُكْمٍ على الأحياء، لو
صحّ كما يجزم البعض، أنَّ كُلَّ ما يَفْنَى لم يُوجَدْ أصلاً!

فيما هو يعرض عليّ مشاريعه، كنتُ
أُنصت إليه عاجزًا عن تجنُّب التفكير في أنّه لن يعبر الأسبوع.

---

(١) دلفي (Delphes): الموقع اليونانيّ المعروف حيث معبد أبوللو (Apollon).

أيَّ مجنونٍ كان كي يتحدّث عن المستقبل! عن مستقبله! لكن كيف لا تحدّثك نفسُك وأنت تخرج من عنده، بأنّ الفرق ليس كبيرًا على كلّ حال بين الفاني والهالك؟ عَدَا أنّ عبثيّة التّخطيط للمشاريع أوضحُ بقليل في الحالة الثانية.

عُمرنا من عُمر الأشياء التي كانت مثار إعجابنا. ما أن نستشهد بأحدٍ غير هومير أو شكسبير حتى نجازف بالظّهور في مظهر المُخْتَلّ أو مَنْ تجاوزته الأحداث.

من الممكن عند الضّرورة أن نتخيّل الله يتكلّم الفرنسيّة. أمّا المسيحُ فلا، إطلاقًا. أقوالُه لا تمرُّ عَبْرَ لغةٍ تَضِيقُ إلى هذا الحدّ بالسّذاجة أو الجلال.

أن نفكّر في شأن الإنسان طيلةَ هذا الوقت! لن يكون في وسعنا الذّهاب أبعدَ بِمَيْلِنا نحو ما هو فاسد.

هل يجيءُ الغيظُ من جهة الله أم من جهة الشيطان؟ - من الجهتين: وإلاّ فكيف نفهم أنّهُ يحلم بالمجرّات كي يسحقها، وأنّه مكروبٌ لكونه لا يجدُ في متناول يده غير هذا الكوكب البائس؟

نجهدُ كُلَّ هذا الجهد - لماذا؟
لنعود إلى ما كنّا قبل أن نكون.

فلان... الذي فشل في كلّ شيء،
أخذ يتذمّرُ أمامي من كونه لا يملك مصيرًا. - بلى، بلى، إنّ سلسلة خيباتك لافتة للنّظر إلى حدٍّ أنّها تبدو دليلاً على مقصدٍ من مقاصد العناية الإلهيّة.

ظلّت المرأةُ ذاتَ شأنٍ ما ظلّت
تتظاهر بالحياء والتحفُّظ. على أيّ قُصورٍ تبرهن حين تكفّ عن لَعِبِ اللُّعبة! هي منذ الآن بلا قيمة بما أنّها باتت تشبهنا.
هكذا تختفي واحدةٌ من آخر الأكاذيب التي كانت تجعل الوجود قابلاً للتحمّل.

أن نحبّ سوانا أمر لا يمكن
تصوُّره. هل نطلب من فايروس أن يحبّ فايروسًا آخر؟

الأحداث الوحيدة الجديرة بالذكر في
حياتنا هي حالات الفراق. هي أيضًا آخر ما يمّحي من ذاكرتنا.

حين علمتُ أنّه مُنغلقٌ تمامًا عن دستويفسكي وعن الموسيقى، وعلى الرّغم من مزاياه الكبيرة، رفضتُ التقاءه. أُفضِّل عليه مجنونًا يؤثّر فيه هذا أو تلك.

كَوْنُ الحياة بلا معنى هو مُبرِّرٌ للحياة، فضْلاً عن أنّه المبرّر الوحيد.

لمّا كنتُ قد عايشتُ الانتحار يومًا بعد يوم، فإنّ من الظلم والجحود أن أقدح فيه. هل ثمّة سلوكٌ مُستقيم وطبيعيّ أكثر من ذلك؟ ما هو على خلاف ذلك، شهيّتي المحمومة تجاه الوجود، تلك النّقيصة الخَطِرة، النّقيصة بامتياز، نقيصتي.

سحر الخيبة

كان علينا أَن نقتصر في كلامنا على
الأحاسيس والرؤى: ألاَّ نتكلّم على الأفكار أبدًا - لأنّ الأفكار
لا تصدُر عن أعماقنا وليست بالمرّة على ملْكِنا حقًّا.

سماءٌ كئيبة: دماغي قائمٌ مقامَ القبّة
الزّرقاء.

طريح القلق، هذا الإعصار الذي
يدُور ببطء.

ثمّة بلا شكّ كآبةٌ سريريّة تؤثّر فيها
الأدويةُ أحيانًا، وثمّةَ أُخرى تحتانيّة تتغطّى حتّى بانفجارات
بهجتنا، وتُلازِمُنا في كلّ مكان دون أن تتركنا لحظةً لوحدنا.
هذا الحضور الطّاغي المؤذي، لا شيء يسمح لنا بالخلاص
منه: إنّها الأنا في مواجهة نفسها إلى الأبد.

أؤكّد لذلك الشّاعر الأجنبيّ الذي
تردّد طويلاً بين عدّة عواصم قبل أن يحلّ بيننا، أنّه أحسن الاختيار، وأنّ من بين الامتيازات التي سيتمتّع بها هنا، الحقّ في الموت جوعًا دون أن يُزعج أحدًا. أضفتُ زيادةً في التشجيع، أنّ الفشل الذّريع أصبح طبيعيًّا هنا إلى درجة أنّه بات مفتاح المفاتيح. ويبدو أنّ التفصيل الأخير أشبع انتظاراته كلّها، هذا إذا أحسنتُ قراءة البريق الذي لمحتُهُ في عينيه.

«**كونك** بلغتَ هذا العمرَ دليلٌ على
أنّ للحياة معنىً». هكذا قال لي صديقٌ بعد ثلاثين سنة من الفرقة. ما انفكّت هذه العبارة تُعاودني وتسترعي انتباهي على الرغم من صُدورها عن شخص عرَفَ دائمًا كيف يجد معنًى لكلّ شيء.

بالنّسبة إلى مالارميه، وقد حُكِمَ
عليه حسب زَعْمِه بالسّهر أربعًا وعشرين ساعة على أربع وعشرين، لم يكن النّوم «حاجة حقيقيّة» بل «حظوة».
وحدَهُ شاعرٌ كبير في وسعه أن يسمح لنفسه بمثل هذا الهراء.

يبدو أنّ البهائم معفيّةٌ من الأرق.
لو منعناها من النوم لعدّة أسابيع لحصلت تغييرات جذريّة في

طبيعتها وسلوكها. لانتابتها أحاسيس كانت تجهلها حتى تلك السّاعة وكنّا نعتبرها خاصّةً بنا. لِنُخَرِّبْ مملكة الحيوانات إذا أردنا أن تلتحق بنا وتحلَّ مَحَلَّنا.

اعتدتُ أن أنصح صديقة يابانيّةً بهذا العمل أو ذاك من أعمال برامز في كلّ رسالةٍ أوجّهها إليها. كتبَتْ لي منذ أيّام أنّها غادرت إحدى عيادات طوكيو، إلى حيث حُمِلت في سيّارة إسعاف، بسبب إفراطها في استهلاك أعمال أيقونتي. بسبب أيّ ثلاثيّ؟ بسبب أيّ سوناتة؟ لا يهمّ. وحدَهُ ما يدعو إلى الانهيار يستحقّ منّا الإنصات.

لن تعثروا في أيٍّ ثرثرةٍ تخصُّ المعرفة ولا في أيّ *Erkenntistheorie*[1] يتشدّق بها الفلاسفة سواءٌ كانوا ألمانيّين أم لا، على أيّ إشادةٍ بالتّعب في ذاته بوصفه الوضع الوحيد القادر على النفاذ بنا إلى عمق الأشياء. هذا النّسيان أو هذا الجحود كفيلٌ بتشويه سمعة الفلسفة نهائيًّا.

جولةٌ في مقبرة مونبارناس.
كُلُّهم، شِيبًا وشبابًا، كانوا يُخطّطون لمشاريع وكفّوا عن

(١) *Erkenntistheorie*: أثبتنا العبارة بالألمانيّة كما أثبتها سيوران في نصّه. وتعني نظرية المعرفة.

ذلك. في طريق العودة، مُتَقَوِّيًا بمثالهم، أقسمتُ مثل تلميذٍ نجيبٍ أن أكفّ إلى الأبد عن التّفكير في أيّ مشروع.

جولةٌ لا جِدالَ في أنّها كانت مفيدة.

أُفكِّرُ في س... الذي كان يرى في شُرْب القهوة المبرّر الوحيد للوُجود. كنتُ أمدحُ له البوذيّة ذات يوم، بصوت مرتعش، حين أجابني: «النّيرفانا، نعم، لكن ليس من دون قهوة».

لدينا جميعًا بعضُ الهوَس الذي يمنعنا من قبول السّعادة القصوى من دون قُيود.

وأنا أقرأ نصَّ السيّدة بيريي[١] وتحديدًا الفقرة التي تروي فيها أنّ أخاها باسكال، باعترافه، لم يعش يومًا منذ الثّامنة عشرة من عمره دون أن يمضّه الألم، صُدِمتُ إلى درجة أنّي وضعتُ قبضتي في فمي كي لا أصرخ.

كان ذلك في مكتبة عموميّة. والجدير بالملاحظة أنّي كنت في الثّامنة عشرة تحديدًا. يا له من توجُّس، لكنْ، يا له من جنون كذلك، ويا له من تخمين!

(١) مارغريت بيريي (Périer)، أُختُ بليز باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢): الفيلسوف والعالِم الفرنسي. ويبدو أن شفاءها فيما يُشبه المعجزة من مرض ألمّ بها أثّر كثيرًا في موقف باسكال من الدين.

التخلّصُ من الحياة حرمانٌ من سعادةِ الاستهزاء بها. الردُّ الوحيد الممكن على شخص يُعلمك بنيّتِه وَضْعَ حدٍّ لحياته.

الكينونةُ لا تُخَيِّبُ أبدًا وفق تأكيد أحد الفلاسفة. من يُخَيِّبُ إذنْ؟ ليست اللاّ كينونة بالتأكيد بما أنّها عاجزةٌ عن التخييب أصْلاً. هذه الميزة المزعجة حتْمًا هي التي اضطرّت فيلسوفنا إلى نشْرِ أكذوبته الصّارخة إلى هذا الحدّ.

تستمدُّ الصّداقةُ أهميّتَها من أنّها كالحبّ تقريبًا، مصدَرٌ لا ينضب للخيبة والغيظ، ومن ثمّ للمفاجآت المخصبة التي لا يُعقَلُ أن نرغب في الاستغناء عنها.

أفضل وسيلة كي لا نفقد العقل على الفور: تذكير الذّات بأنّ كُلَّ شيء غيرُ حقيقيّ وسيظلّ كذلك.

مَدَّ لِي يَدًا غائبة. طرحتُ عليه أسئلة عديدة وكدتُ أستسلم أمام رُدودِه المقتضبة إلى حدّ الإهانة. لم ينبس بشيء من ذلك اللّغو الذي لابدّ منه للحوار. يتعلّق الأمر فعلاً بحوار. الكلامُ علامةٌ على الحياة، لذلك فإنّ المجنون المهذار أقرب إلينا من نصف المجنون المُعطّل.

مَا مِنْ دفاعٍ ممكنٍ ضدّ المَدَّاح. لا نستطيعُ أن نوافقه من دون أن نصبح مثار استهزاء، ولا يسعنا أيضًا أن ننهَرَهُ ونعرضَ عنه. نتصرّف وكأنّه يقول صوابًا. نستسلم إلى المديح لجهلنا كيف نردّ الفعل. يعتقد هو أنّك مخدوع، أنّه يهيمن عليك، ويستمتع بتفوُّقه دون أن تستطيع تسفيهه. في أغلب الأحيان هو عدوٌّ قادِمٌ سيثأر من اضطراره إلى الانبطاح أمامك، مُعْتَدٍ متنكّرٌ يُخطّط لضرباته فيما هو يغدق عليك مبالغاته.

أنجع طريقة لاتّخاذ أصدقاء أوفياء أن تهنّئهم على فشلهم.

لَجَأَ هذا المفكّر إلى الإطناب كما لجأ غيره إلى الذُّهول.

حين نكون قد حُمْنَا لبعض الوقت حول موضوعٍ مَا، فإنّ في وسعنا أن نُقيّم بسرعة كلّ عمل يتعلّق به. فتحتُ قبل قليل كتابًا في العرفان وأدركتُ فورًا أنّه غير جدير بالثقة. عِلْمًا بأنّي لم أقرأ منه سوى صفحة، وأنّي مُجَرَّدُ هاوٍ عديم الكفاءة، على معرفةٍ غامضةٍ وسطحيّةٍ بالمجال.

لنتصوّر الآن اختصاصيًّا مطلقًا، وحشًا، الله مثلاً: ليس من

شكٌّ في أنّ كلّ ما نقوم به سيبدو له سَفْسَفةً، حتى نجاحاتنا الفريدة، حتى تلك التي تتطلّع إلى إذلاله أو إفحامه.

بين *التكوين والقيامة* تَسُودُ الخديعة.
من المهمّ أن نعرف ذلك، لأنّ تَمَثُّلَ هذه البداهة المدوّخة يُبطِل الحاجة إلى كلّ وصفات الحكمة.

حين نضعُفُ فنعمَلُ على تأليفِ
كتاب، لا يَسَعُنا إلاّ أن نُعْجَبَ بذلك الحاخام الحسيديّ[١] الذي تخلّى عن مشروع تأليف كتابه، لأنّه لم يكن واثقًا من قدرته على إنجازه لأجل متعة خالقه فحسب.

لو دقّت ساعةُ الخيبة في الوقت
نفسه بالنّسبة إلى الجميع، لرأينا نسخة جديدة كلّ الجدّة من الفردوس أو الجحيم.

يستحيل أن نتحاور مع الألم
البدنيّ.

---

(١) نسبةً إلى الحسيديم: الحركة اليهوديّة التي ظهرت في القرن السابع عشر.

لِنَنْسَحِبْ إلى داخلنا لوقتٍ غير
مُحدّد، كما فعل الربّ بعد الأيّام الستّة. لِنُقَلِّدْهُ في هذا على
الأقلّ.

نُورُ الفجر هو النُّورُ الحقيقيّ، النُّورُ
الأَساسِيّ. كلّما تأمّلتُه باركتُ ليالِيَّ السيِّئة التي ما انفكّت
تمنحني فرصةَ حُضور مشهدِ البداية. ييتس يقول إنّه نُورٌ
«شَهْوانيّ». لُقْيَةٌ جميلة وغير بديهيّة.

علمْتُ أنّهُ مُقْبِلٌ على الزّواج، فآثرتُ
إخفاءَ دهشتي تحت إحدى العبارات الفضفاضة: «كلّ شيءٍ
مُلائِمٌ لكلّ شيء». فما كان منه إلاّ أن قال: «هذا صحيح، بما
أنّ الرّجُلَ مُلائِمٌ للمرأة».

الشُّعلَةُ تخترق الدّم. العُبورُ إلى
الجهة الأُخرى عن طريق الالتفاف على الموت.

مظهرُ الاعتداد بالنّفس الذي يُميّزُنا
عندَ كلّ مُصيبة...

في ذروة إنجازٍ لا فائدة من ذكره،
تنتابنا الرغبة في الهتاف: «قد أكمل[1]».

إنّه لَأَمْرٌ جيّد أن تكون كليشيهات الأناجيل، وتحديدًا الآلام، دائمًا في متناول اليد، حين نظنُّ أنّ في وسعنا الاستغناء عنها.

ملامحُ الشكّ التي يندُر العثور عليها
لدى آباء الكنيسة، تُعْتَبَر اليوم من أمارات *الحداثة*. لا غرابة في ذلك، لقد لعبت الكنيسة دورها، وما كان في بداياتها إعلانًا عن النّهاية أصبح اليوم مادّةً للتلذُّذ.

كُلَّما رأيتُ متشرّدًا سكرانًا، قذرًا،
مُهَلْوِسًا، مُنْتِنًا، متهالكًا بقارورته على حافة الرّصيف، خَطَرَ ببالِي إنسانُ الغد وهو يُجرِّبُ نهايتَه وينجح فيها.

على الرغم من خَبَلِه الشّديد، كان
يقول التّفاهة تلو التفاهة. وبين الحين والآخر تصدر عنه ملاحظة تُلامِسُ الحمق والعبقريّة. من الضروريّ أن يَصْلح الخبلُ لشيءٍ مَا.

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٩-٣٠

نعتقد أنّنا بلغنا قدْرًا مُعيّنًا من اللّامُبالاة، فنتّهم بالتصنّع كلّ المندَفِعِين، بما فيهم مؤسّسي الأديان. لكن أليس عدمُ الاكتراث ضرْبًا من التصنّع؟ إذا كانت الأفعال تصنّعًا فإنّ رفض إتيانها تصنّعٌ هو أيضًا. وإن كان تصنُّعًا نبيلاً.

أقف محتارًا مُعجَبًا أمام فُتور همّته. إنّه لا يخفُّ إلى شيء، لا يتبع أيّ وجهة، لا يتحمّس إلى أيّ موضوع. لكأنّه تناوَلَ عند ولادته مهدّئًا ما انفكّ ساري المفعول، وما انفكّ يسمح له بالمحافظة على ابتسامته التي لا تُقْهَر.

الرحمةَ لذلك الذي استنفذ كلّ ذخيرته من الاحتقار، ولم يعد يعرف أيّ إحساسٍ عليه أن يحمل تُجاه الآخرين وتجاه نفسِه.

كان يقرأ لي بدايةَ سِفْر الأسفار بشيء من اللكنة الروسيّة التي لم يكن منها بُدٌّ تقريبًا في تلك الحالة، وقد انقطع عن العالَم قاطعًا صِلَتَهُ بكلّ أصدقائه. عند وصوله إلى حيث أُطرِدَ آدم من الفردوس توقّف شارد الذّهن، رانيًا إلى البعيد، بينما تردّد في نفسي بقدْرٍ من الوضوح، أنّ البشرَ بعد آلاف السّنين من الأمل الكاذب وقد أغضبهم ما

مارسُوا من غِشّ، سيكتشفون من جديد معنى اللّعنة، ليُصبحوا هكذا جديرين بِسَلَفِهم الأوّل.

إذا كان المعلّم إيكارت «اللاهوتيّ المدرسيّ» الوحيد المقروء حتّى اليوم، فلأنّ العمق لديه مصحوبٌ بالجاذبيّة، *بالفتنة*، ميزةٌ نادرة في عُصور الإيمان الشديد.

حين ننصتُ إلى أوراتوريو[1]، كيف لا نُسلّم بأنّ تلك الابتهالات، تلك المشاعر التي تفطّر القلب، لا تتضمّنُ أيّ حقيقة ولا تتوجّه إلى أحد، لا تُخفي وراءها شيئًا ولا مصير لها إلاّ التّلاشي في الهواء إلى الأبد.

أقام أحد الصناعيّين الأوروبيّين مُطوَّلاً في قرية هنديّة كان سُكّانها ينسجون شالات من الكشمير. دَرَسَ مليًّا الطرق التي كان النسّاجون يتبعونها بشكل تلقائيّ، ثمّ رأى من الصّالح أن يكشف عنها لأولئك النّاس البسطاء، فإذا بهم يفقدون كُلّ عفويّة ويُصبحون عُمّالاً رديئين.

ليسَ من فِعْلٍ لا يَعُوقُه الإفراطُ في القَوْل. إطالةُ الحديث

(١) أوراتوريو (بالإيطالية: oratorio): صنف من التآليف الموسيقية الدينية.

في الجنس تخريبٌ له. الإيروسيّة، آفةُ المجتمعات المترهّلة، هي اعتداءٌ على الغريزة وتنظيمٌ للعُنَّة. إنّ من الخطر أن نُفكّر في ما لا يحتاج إلى تفكير. رعشةُ الجماع لم تكن يومًا حدثًا فلسفيًّا.

تبعيّتِي للمناخ ستمنعني دومًا من التّسليم باستقلال الإرادة. الأرصادُ الجويّة تُحدِّد لَوْنَ أفكاري. لم يبلغ أحدٌ الدّرَكَ الذي بلغتُه من الإيمان بالحتميّة، ولكن ما حيلتي؟ ما إن أنسى أنّ لي جسدًا حتى أعتقد في الحريّة، ثمّ يُعيدني الجسد إلى الصّواب ويُملي علَيَّ مآسيه ونزواته فأرجع عن ذلك الاعتقاد. مونتسكيو في مكانه هنا: «السّعادة والشقاء محكومان بأعضاء في وضعيّةٍ مُعيّنة».

هل كنتُ أغدو أكثَر رِضًى عن نفسي لو أنّي أنجزتُ ما اقترحتُه عليها. كلاّ بالتّأكيد. انطلقتُ للذهاب بعيدًا، إلى أقصى نقطةٍ في نفسي، إلاّ أنّي في الأثناء، أخذتُ أشكّ في مهمّتي وفي كلّ مهمّة.

غالبًا ما نكونُ فريسةً لمزاجٍ انتحاريّ حين نُولَعُ بشخصٍ أو فكرة. يا له من ضوءٍ يُسَلَّطُ على جوهر الحبّ والتعصُّب!

ليس من حائِلٍ دُونَ الخلاص أكبر
من الحاجة إلى الفشل.

أن نعرف ببساطة، يعني أن نفقد
الوهم في شيء مَا. أن نعرف بإطلاق، يعني أن نفقد الوهم في
كلّ شيء. الاستنارة تمثّل خطوة إضافيّة. إنّها اليقين من أنّنا لن
نُخدع أبدًا من جديد. إنّها النظرة الأخيرة على الوهم.

أسعى جاهدًا إلى تخيُّل الكون...
من دُوني. من حسن الحظّ أنّ الموت موجودٌ كي يعالج كُلَّ ما
قد يأتيه الخيال من تقصير.

لَمَّا كانت نقائصُنا من صَمِيم طبيعتنا
وليست أعراضًا سطحيّة، فإنّنا لا نستطيع التخلُّص منها دون أن
نشوّه تلك الطبيعة، دون أن ننحرف بها أكثر.

ما يتقادم فينا أكثر من غيره هو
التمرُّد. أي أكثر رُدُودِ أفعالِنَا حياةً.

لا أعتقد أنّ في أعمال ماركس كلّها
فكرةٌ واحدةٌ غير مغرضة، عن الموت.

. . .هكذا قلتُ في نفسي وأنا على قبره في هايغيت[1].

هذا الشاعر يمارس *الوَمْض*.

أُفَضِّلُ أن أُقدِّمَ حياتي قربانًا على أن أكون ضروريًّا لأيٍّ كان.

في الميثولوجيا الفيديّة[2] كُلُّ من ارتقَى بوساطة المعرفة نغّصَ على السّماء راحَتَها. تعيش الآلهة دائمًا على حَذَرٍ خَوْفًا من أن يتمّ التّفَوُّقُ عليها. هل كان سيّدُ التكوين يقوم بشيء مُختَلِف؟ ألم يتلصّص على الإنسان خوفًا منه لأنّه كان يرى فيه منافسًا؟

نفهم في هذه الحالة رغبة المتصوّفة الكبار في التهرُّب من الله، من حُدوده ومآسيه، للفَناء في الألوهيّة.

تَمُوتُ فإذَا أنتَ سيِّدُ العالم.

---

(١) هايغيت (Highgate): منطقة في لندن.

(٢) نسبةً إلى الفيدا (Véda): الكُتب المُقدّسة الهندوسيّة، وتُعتَبر من أقدم النّصوص في العالم.

بَعْدَ خَيْبَةٍ عاطِفيّة، يبدو لنا التولُّع بأيٍّ كان أمرًا غير معقول، إلى حدّ أنّنا لا نتخيّل أحدًا، ولا حتى حشرة، لم تُغْرِقْهُ الخيبة.

مهمّتي أن أنظر إلى الأشياء كما هي. على النقيض تمامًا من كلّ مهمّة.

أَنْ تَجِيءَ من بلادٍ ارتقَى فيها الإخفاق إلى مرتبة الفريضة، وباتت عبارةُ «لم أستطع أن أتحقّق» اللاَّزِمةَ المُصاحبةَ لِكُلِّ بوح.

ما كُنتُ لأتكيّفَ مع أيّ مصير. خُلقتُ لأُوجَدَ قبل أن أُولَدَ وبعد أن أمُوت، وليس أثناء وُجُودِي نفسِه.

تلك الليالي، حين يُخَيَّلُ إليك أنّ الجميع أخلوا هذا الكون، حتّى الموتى، وأنّك فيه آخرُ الأحياء، آخرُ الأشباح.

كي نَبْلُغَ الرَّحمة علينا أن نَدْفَع هَوَسَنَا بِذاتِنَا إلى حدّ التّشَبُّع، إلى حدّ الغثيان، بما أنّ هذه

الذّروةَ من التقزُّز علامةٌ من علامات العافية، شرطٌ ضروريٌّ للنظر إلى ما وراءَ مِحَنِ الذّات وهُمُومِها.

مَا مِنْ حَقِيقيٍّ في أيّ مكان. في كُلِّ جهةٍ مَظْهَرٌ خدّاعٌ يجدُر بنا ألاّ ننتظر منه شيئًا. لماذا إذنْ نُضيف إلى خيبتنا الأصليّة، كلّ تلك الخيبات التي تجيء لتأكيدها بانتظام شيطانيّ يومًا بعد يوم؟

«**الرُّوحُ** القدس ليس شكّاكًا». هكذا يُعلِّمُنا لوثر.

ليس الشكُّ متاحًا للجميع، وذاكَ مُؤسِفٌ حقًّا.

فُتورُ الهمّة، وهو دائمًا في خدمة المعرفة، يكشف لنا عن الجانب الآخر، عن الظلّ الداخليّ للبشر وللأشياء. مِنْ ثَمّ الإحساسُ بالعِصمة الذي يبعثه فينا.

العبورُ المَحْضُ للزّمن، الزّمن عاريًا مُختَزلاً في جوهرِ التدَفُّق الذي لا تقطعه اللّحظات، لا ندركه إلاّ في الليالي البيضاء. كلّ شيء يتلاشى. يتغلغل الصمت في كلّ مكان. نُصيخُ فلا نسمع. تَكُفُّ الحواسُّ عن الالتفات إلى الخارج. إلى أيِّ خارج؟ غَمْرةٌ لا ينجو منا إلاّ

ذاك العُبور المحض من خلالنا نحن، الذي هو نحن أيضًا، والذي لا ينتهي إلاّ مع النّوم أو النّهار.

لا دَخْلَ للجِدِّيِّ في تحديد الوجود، على العكس من التراجيديّ، الذي يُشْرك فكرةَ المُغامرة، فكرةَ الفاجعة المجانيّة، بينما يفترض الجِدِّيُّ هدفًا. عِلْمًا بأنّ طرافة الوجود تكمن في أنّه لا يشتمل على أيّ هدف.

نُحِبُّ أحدَهم، فنتمنّى كي نتعلّق به أكثر، أن تَحُلَّ به مصيبةٌ كبيرة.

ألاّ يُغريني شيء باستثناء ما وراء... الأقاصي.

لو استجبتُ إلى ردّة الفعلِ الأُولَى، لقضيتُ أيّامي في كتابةِ رسائل سِبابٍ ووداع.

مَوْتُهُ قِلَّةُ حَياء. ثمّةَ حقًّا شيءٌ غيرُ لائِقٍ في الموت. هذا الجانب هو طبعًا آخر ما يخطر بالبال.

أَهدرْتُ السّاعة تلو الأخرى مُتَفَكِّرًا فيما بَدَا لِي أَجْدَرَ المواضيع بالتعمُّق: في بُطلانِ كلّ شيء، فيما

لاَ يستحقّ ثانيةً واحدةً من التفكير، بما أنّنا لا نرى ما يمكن قولُه من جديد، مع أو ضدّ ما هو البداهةُ عينُها.

إذا كنتُ أُفضّل النساءَ على الرّجال، فلأنّهنّ يَمْتَزْنَ عنهم بكونهنّ أكثر اختلالاً، من ثمّ هنّ أكثر تعقيدًا، أكثر فطنةً وأكثر كلبيّة، دون أن ننسى ذلك التفوّق الغامض الذي تمنحهُ عبوديّةُ آلافِ السّنين.

أخماتوفا[1]، مثل غوغول، لم ترغب في امتلاك شيء. كانت توزّع الهدايا التي تُقَدَّمُ إليها فإذا هي لدى آخرين بعد أيّام. هذه السّمةُ تُذَكِّرُ بعادات الرُّحَّل المحكومين بالمؤقّت عن اضطرار وعن رغبة. يَذْكُرُ جوزيف دو ميستر حالةَ أميرٍ رُوسيٍّ من أصدقائه كان ينام في قصرِه حيثما اتّفق، ويمكن القول إنّه لم يكن يملك فِراشًا *ثابتًا*، لأنّه كان يشعر بأنّه عابِرُ سبيل، يُخيّم هُناكَ في انتظار أن يلوذ بالفِرار.

...حين يُقدّم لنا الغرب مثل هذه النماذج من عدم الاكتراث، لماذا نبحث عنها في الهند أو في غيرها؟

الرّسائلُ التي نتلقّاها والتي لا موضوع لها غير الحوارات الباطنيّة والتّساؤلات الميتافيزيقيّة،

---

(١) **آنا أخماتوفا** (١٨٨٩-١٩٦٦): من أكبر شاعرات روسيا في القرن العشرين.

سرعان ما تُصبح مُمِلّة. لابدّ من الخسيس في كلّ شيء كي يُخَيَّل إلينا الحقيقيّ. لو عنّ للملائكة أن يُمارِسوا الكتابة لَما استطعنا قراءةَ أيٍّ منهم، باستثناء المَطْرُودين. النّقاوةُ لا تُحْتَمَلُ إلاّ بصُعوبة، لأنّها ليست ملائمةً للنَّفَس.

في وسَط الشارع، وقد استحوذَ عليَّ فجأةً التفكيرُ في «سرّ» الزمن، قلتُ في نفسي إنّ سانت أوغسطين كان مُصيبًا حقًّا حين تناول هذا الموضوع متوجّهًا صراحةً إلى الله: مع من غيره يمكن النّقاش في موضوع كهذا؟

كان في وسعي أن أُترجم كلّ ما يشغلني، لو جُنِّبْتُ هَوانَ أنّي لستُ موسيقيًّا.

أويتُ إلى الفراش بعدَ الظُّهْر فريسةً لمشاغل ذات أهميّة قصوى. كانت تلك هي الوضعيّة المُثْلَى للتّفكير في النّيرفانا من غير بقيّة، من غير أيّ أثرٍ للأنا، هذا العائق دون الخلاص، دون الوصول إلى حالة اللاّ فكر. إحساسٌ مُنْعِشٌ بالانطفاء في البداية، يَلِيهِ انطفاءٌ مُنْعِشٌ من دُون إحساس. اعتقدتُ أنّي كنت عند عتبة المستوى الأعلى، إلاّ أنّ الأمر لم يكن سوى بارودیا، سوى انزلاق نحو الخَدر، نحو هاوية الـ. . . قيلولة.

وفق التّقاليد اليهوديّة، فإنّ التّوراة
- كتاب الله - سبق العالم بألفي سنة. ما من شعبٍ قدّرَ نفسَه بهذا الشّكل. أن تنسب إلى كتابك المُقدّس أقدميّة مثل هذه! أن تعتقد بأنّ تاريخه يرجع إلى ما قَبْلَ لِيَكُنْ نُور[1]!

هكذا يُبتدع المصير.

فتحتُ أنطولوجيا للنّصوص الدينيّة،
فوقع نظري مُباشرةً على هذه العبارة للبوذا: «ما من شيء يستحقّ أن نرغب فيه».

- أغلقتُ الكتاب على الفور، فماذا يمكن أن نقرأ بعد ذلك؟

كُلّما تقدّمنا في السنّ ضعفت
شخصيّتُنا. حتى أنّنا نشعر بالحرج، ونبدو متصنّعين، في المرّات القليلة التي نستعيد فيها بعض التماسُك. من ثمّ إحساسُنا بالضيق أمام الذين يفوحون قناعات.

إنّها لَسعادةٌ غامرة أن تكون عاشرتَ
غاسكونيًّا حقيقيًّا. الشخص الذي أفكّر فيه لم يَبْدُ لِي يومًا

(١) استخدم سيوران العبارة اللاتينية Fiat Lux : من سفر التكوين: وقال الله ليكن نور فكان نور. الإصحاح الثالث.

مُحبَطًا. كان يُعلنُ لي مآسيه التّافهة كلّها وكأنّها انتصارات. المسافة بينه وبين دون كيشوت كانت ضئيلة جدًّا. إلاّ أنّه من ناحيته كان يحاول بين الحين والآخر أن ينظر ببصيرة. لكن يبدو أنّ جهوده لم تُثمر. لقد ظلّ إلى النهاية عدوًّا للخيبة.

لو استجبتُ إلى نزعاتي الأولى
لكنتُ اليوم مجنونًا أو مشنوقًا.

لاحظتُ في أعقاب كلّ هزّةٍ داخليّةٍ
أنّ أفكاري تُحلّق للحظات قصيرة، ثمّ تأخذ وجهةً مثيرة للرثاء إن لم أقل مثيرة للسّخرية. حصل ذلك باستمرار أثناء أزماتي كلّها، حاسمةً كانت أم غير حاسمة. ما أن تقوم بقفزة إلى خارج الحياة حتى تنتقم الحياة وتعود بك إلى مستواها.

يستحيل عليّ أن أعرف إن كنتُ
أحمل نفسي على مَحْمل الجدّ أم لا. مأساة اللامُبالاة أنّنا غير قادرين على قيس تقدُّمِها. نتوغّلُ في الصحراء ولا نعرف أبدًا أين نحن.

ذهبتُ بعيدًا بحثًا عن الشّمس وها
هي الشّمس، وقد عثرتُ عليها أخيرًا، تقف ضدّي. ماذا لو ذهبتُ لإلقاء نفسي من أعلى هاوية؟ كنت أقلّب هذه الأفكار

الأقرب إلى السواد، ناظرًا إلى الأشجار والصّخور والأمواج، حين أدركتُ فجأةً إلى أيّ حدّ أنا مشدودٌ إلى هذا الكون الجميل الملعون.

نظلم الكَرْبَ حين نمنحه منزلةً ثانويّة أدنى بكثير من منزلة الحيرة. الحقّ أنّ الكَرْبَ أكثر حدّةً لكنّه يربأ بنفسه عن الاستعراض الذي تشغف به الحيرة. إنّه أكثر تواضعًا وإن كان أكثر خرابًا وقابلاً للانبثاق في أيّ لحظة. بينما تقف الحيرة على مسافةٍ، محتفظةً بنفسها للمناسبات الكبرى.

كان يجيء سائحًا وكنت ألتقيه دائمًا مُصادفةً. هذه المرّة أسهب بشكلٍ خاصّ وهو يسرّ إليّ بأنّ صحّته على ما يُرام وأنّه ما انفكّ يزداد وعيًا بأنّه مرتاح. رددتُ بأنّ صحّته تبدو لي مشبوهة، وأنّ من غير الطبيعيّ أن نشعر بامتلاكها باستمرار، وأنّ الصحّة الحقيقيّة لا يمكن الإحساس بها. احذر إحساسك بالراحة. كانت تلك آخر كلماتي وأنا أغادره.

لا فائدة من أن أضيف أنّي لم أره منذئذ.

عند أدنى إزعاج ومن باب أحرى عند أدنى شجَن، علينا أن نهرع إلى أقرب مقبرة. منبع سكينة قد نبحث عنها عبثًا في مكان آخر. دواء معجز هذه المرّة على الأقلّ.

الندم هجرةٌ داخليّة في الاتّجاه المعاكس، يبعث حياتَنا بِقَدْرِ ما يشاء فيوهمنا بأنّنا عشنا أكثر من واحدة.

ضعفي تجاه تاليران[1]. - حين نكون قد مارسنا الكلبيّة قولاً فحسب، يتملّكنا الإعجاب بمن ترجمها بتفوّق إلى أفعال.

لو قرّرتْ إحدى الحكومات في ذروة الصّيف أنّ العطلة ستمتدُّ إلى أجل غير مسمّى، وأنّ حُكْمًا بالإعدام ينتظر كلّ من يُغادر الفردوس الذي هو مقيم فيه، إذنْ لتتالت انتحاراتٌ جماعيّة بالجملة، ومجازر غير مسبوقة.

السّعادة والشّقاء يتسبّبان في تعاستي بالمقدار نفسه. إذَنْ لماذا يحدث لي أحيانًا أن أُفضِّلَ الأُولى؟

يُقاسُ عُمْقُ أيّ هوًى بما يتضمّنه من مشاعر دنيئة تَضْمَنُ كثافَتَهُ وديمُومَته.

---

(١) شارل موريس تاليران (١٧٥٤-١٨٣٨): الديبلوماسيّ والعسكريّ ورجل السياسة الفرنسيّ.

الفَطْسَاء[١] رسّامةُ بورتريهات فاشلة
حسب غوته، لذلك هي تمنح الوجوه شيئًا من الزّيف، شيئًا من غير الحقيقيّ. ما كانَ لمثْلِهِ طبعًا أن يُدْمِجَها على غرار نوفاليس في العنصُرِ الذي يجعل الحياة رومنطيقيّة.

لنلاحظ دفاعًا عنه أنّه لمّا عاش خمسين عامًا أكثر من مؤلّف *تراتيل لِلَّيْل*، فقد كان لديه كلّ ما يحتاج إليه من وقت كي يخسر كلّ أوهامه عن الموت.

في القطار امرأةٌ على جانبٍ من الكِبَر والأناقة، حذوَها أحمق هو ابنُها في الثّلاثين من عمره، يسحب يدها بين الحين والآخر فيطبع عليها قبلةً حارّة، ثمّ يظلّ ينظر إليها مذهولاً بينما هي تتأمّلُه مشرقةً مبتسمة.

لم أكن أعلم ماذا يمكن أن يكون الفُضول المتحجّر. الآن أصبحتُ أعلم ما يكون لأنّي خبرتُه أمام هذا المشهد. لقد كُشِفَ لي عن نوع جديد من الذّهول.

لا تُوجد الموسيقَى إلاّ بمقدار ما يُوجد السّماع، كما لا يوجد الله إلاّ بمقدار ما تُوجد الغبطة.

الفنُّ الأعلى والكائنُ الأعلى يشتركان في ارتباطهما تمامًا بِنَا.

---

(١) الفطساء (La Camarde): كنايةٌ عن الموت في صورةٍ رمزيّة تمثّله في هيئة هيكل عظميّ، ومن خاصّة الجمجمة ألاّ تحمل أنفًا.

بالنّسبة إلى البعض، بالنّسبة إلى
الأغلب في الواقع، الموسيقَى منشّطة ومؤاسِيَة. بالنّسبة إلى
آخرين، هي مُخَدِّرٌ مرغوبٌ فيه، وسيلةٌ غيرُ متوّقّعَة للضَّياع،
للغرق مع أفضل ما فينا.

أن تُحدث قطيعةً مع آلهتك، مع
أسلافك، مع لغتك وبلادك. أن تُحدث قطيعة فحسب، هي
محنة مُرَوِّعة لا شكّ في ذلك، إلاّ أنّها محنة مثيرةٌ أيضًا، يبحث
عنها بلهفةٍ اللاجئ، وأكثر منه، الخائن.

من بين كلّ ما يُعذِّبُنا، لا شيء مثل
الخيبة يمنحنا الإحساس بأنّنا نلمس أخيرًا ما هو حقيقيّ.

ما إن نشرع في التدنّي حتى يكون
علينا عوضًا عن التأسّف، أن نستظهر بالحقّ في ألاَّ نكون
أنفُسَنا.

نحصل تقريبًا على كلّ شيء
باستثناء ما نتمنّاه في السرّ. قد يكون من العدل أن يظلّ ما
نحرص عليه أكثَرَ من غيره بعيدَ المَنال. أن يظلّ جوهرُ ذواتنا
ومسيرتنا خفيًّا وغير متحقّق. العناية الإلهيّة أحسنت تدبير

الأمور: على كُلٍّ أن يستمدَّ رِبْحَهُ وزَهْوَهُ من المجد المرتبط بخساراته الحميمة.

أرادَ الله أن يبقى شبيهًا بذاته فخلق الإنسان ونصحه بالوفاء إلى شجرة الحياة، هكذا جاء في الزُّوهار[١]. إلاّ أنّ الإنسان فضّل الشجرة الأخرى الكائنة في منطقة التقلّبات. سقوطه؟ جنون التغيير، ثمرة الفُضول، منبع كلّ المصائب. - وهكذا فإنّ ما كان بالنسبة إلى *أوّلِنا* مجرّد نزوة سيصبح بالنسبة إلينا *قانونًا*.

ثمّةَ شيء من الشفقة يدخل في كلّ شكلٍ من أشكال الارتباط. في الحبّ وحتّى في الصّداقة. باستثناء الإعجاب.

أن تخرج سالمًا من الحياة - هذا يمكن أن يحدث إلاّ أنّه دون شكّ لا يحدث أبدًا.

الجانبُ السلبيّ في الكارثة القريبة زمَنِيًّا أنّها تمنعنا من الانتباه إلى جوانبها الإيجابيّة.

---

(١) كتاب الزوهار: أهمّ مَراجع الكابالاه اليهوديّة، وهو تفسير للكتاب المُقدّس يفترض أنّ لكلّ حرف ولكلّ كلمة فيه معنًى غير المعنى الظاهر.

شوبنهاور ونيتشه هما أفضل من
تحدّث عن الحبّ والموسيقى في القرن الماضي. على الرغم
من أنّ كليهما لم يختلف إلاّ إلى المواخير، وفيما يتعلّق
بالموسيقيّين كان الأوّلُ مغرمًا بروسّيني والثاني ببيزيه.

التقيتُ فلانًا عن طريق المصادفة،
فقلت له إنّ المنافسة بين القدّيسين كانت الأشرس والأكثر سريّة
من بين كلّ المنافسات. طلب منّي أن أذكر له أمثلة: لم أعثر
على واحدٍ في حينه، ولم أعثر على واحدٍ حتى الآن. هذا لا
يمنع أنّ الأمر يبدو لي ثابتًا...

الوعي: حصيلة كلّ إحساس
بالضيق منذ ولادتنا حتى الوضع الراهن. تبخّر إحساسنا بالضيق
وظلّ الوعي -إلاّ أنّه خسر جذوره... بل إنّه بات يجهلها.

الكآبة تتغذّى من نفسها، لذلك لا
يكون في وسعها أن تتجدّد.

في التلمود تأكيدٌ مذهل: «كلّما
ازداد عدد البشر ازدادت صُوَر الله في الطبيعة».
ربّما صحَّ ذلك في حينه، أمّا اليوم، فيُكذّبُهُ كُلُّ ما نراه
وسيُكذّبُهُ أكثر كُلُّ ما سنراه.

توقّعتُ أن أَشْهَدَ في حياتي انقراضَ
نوعِنا. إلاّ أنّ الآلهة عاكستني.

لا أشعر بالسّعادة إلاّ حين أَعزمُ على
التّخلّي وأستعدُّ له. الباقي حُرْقَةٌ واضطراب. التّخلّي ليس
سهلاً. إلاّ أنّ مجرّد الطُّموح إليه يأتي بالطّمأنينة. الطُّموح إليه؟
التفكير فيه يكفي وحده كي يوهمك بأنّك آخر، وهذا الوهم
نصر، النّصر الأكثر إثارةً للزّهْو، والأكثر خِداعًا أيضًا.

لم يكن لأحدٍ ما كان لَهُ من حِسٍّ
باللّعب الكونيّ. كلّما ألمحتُ إلى الموضوع ذكَر لي بابتسامة
متواطئة الكلمة السنسكريتيّة لِيلا، المجانيّة المُطلَقة حسب
الفيدانتا[1]، خَلْق العالم على سبيل التّسلية الإلهيّة.

كم ضحكنا معًا من كلّ شيء!

والآن، وهو أكثر العائدين من الضَّلالِ مرحًا، ها هو مُلقًّى
في تلك الحفرة بسبَبِهِ وحدَه، بما أنّه تنازل هذه المرّة وحملَ
العَدَمَ على محمل الجِدّ.

---

(١) الفيدانتا (Védanta): فلسفة هندوسيّة تعنى بتحقيق الذات، وتُطلّق العبارة أيضًا على الشخص المتمكّن من نصوص الفيدا الأربعة.

قُبالةَ اللّحظات

عن طريق العذاب وحدَه، وليس عن
طريق العبقريّة، نَكُفُّ عن أن نكون دُمًى مُحَرَّكة.

عندما نقع في فتنة الموت، يحدث
كلّ شيء وكأنّنا عرفنا الموتَ في حياة سابقة ونحن الآن في
شوق كبير لالتقائه من جديد في أقرب وقت.

كُلّما اشتبهتم في أنّ لدى أحدهم
ميلاً ناحية المُستقبل، فكونوا على علم بأنّ المُشتبه فيه يعرف
عنوان أكثر من طبيب نفسانيّ.

«**حقائقك** لا يمكن تنفُّسُها». -«هي
كذلك بالنّسبة إليك». هكذا رددتُ فورًا على ذاك البريء. على
الرّغم من أنّي وددتُ أن أُضيف: «وبالنّسبة إليّ أيضًا»، عوضًا
عن لَعِبِ دور المُجادل...

الإنسانُ ليس راضيًا بكونه إنسانًا.
لكنّه لا يعرف في أيّ شيء يمكن أن يتجسّد، ولا كيف يتقمّص من جديد وضعًا لم تعد له عنه أيّ ذكرى بيّنة. حنينُه إلى ذلك الوضع هو جوهر كيانه، وهو يتواصل بوساطته مع كلّ ما يترسّب فيه من الأكثر قِدَمًا.

كان عازف الأرغن منكبًّا على عمَلِه
في الكنيسة الخالية. لا أحد غيره في المكان باستثناء قطّ أخذ يدور حولي. هَزَّتْنِي لهفتُه فانهالت عليَّ الأسئلةُ القديمة الموجعة. لم تبدُ لي إجابةُ الأرغن مُرضية، لكن في الحالة التي كنتُ عليها، كانت إجابةً على الرّغم من كلّ شيء.

يظلّ في وسعنا دائمًا أن نتصوّر أنّ
الكائن في حقيقته المثاليّة، هو ذاك الذي لن يبحث في أيّ لحظة عن اللُّجوء إلى الكلمات المبتذلة.

كنتُ بلا منافِسٍ في عبادة
الاستحالة. طمحتُ إليها بجنون، حتى بتُّ لا أقترب منها إلاّ ازددتُ بعدًا عنها. هزيمة منصفة لكلّ من يطلب هدفًا مُناقضًا لطبيعته.

نمضي من فوضى إلى فوضى. هذا
الاعتبار لا نتيجة له مُعيّنة ولا يمنع أحدًا من تحقيق مصيره، من
الوصُول في النّهاية إلى الفوضى الكاملة.

الحيرةُ ليست متفرِّعةً عن اختلال
عصبيّ، بل هي قائمة على بنية العالم نفسِها. ولا نرى لماذا لا
نكون محتارين في كلّ لحظة، بما أنّ الزّمن نفسُه ليس سوى
حيرة في ذروة الانتشار، حيرة لا يمكن أن نتبيّن بدايتها ولا
نهايتها، حيرة أبدًا فاتحة.

عُصفوران كانا يتلاحقان تحت
سماءٍ شديدة التَّجَهُّم، غير عابئين بتلك الخلفيّة الكئيبة. بهجتُهما
البديهيّة بدت لي كفيلة بردٍّ الاعتبار إلى الغريزة الهرِمَة، أكثر من
الأدب الإيروسيّ بِرُمَّتِه.

دموع الإعجاب، - المبرّر الوحيد
لهذا الكون، ما دام لابدّ له من مُبرّر.

تضامُنَا مع صديق تُوفّي للتوّ
أغمضتُ عينيّ واستسلمتُ للغرق في ذلك الضّرب من نصف
الكاووس الذي يسبق النّوم. بعد لحظاتٍ خُيِّل إليّ أنّي أُدركُ
ذاك الواقع المُتناهِي الصِّغَر الذي ما انفكّ يربطنا بالوعي. هل

كنتُ على عتبة النهاية؟ بعد لحظة أخرى وجدتُني في قاع هُوّة من دون أيّ أثر للفزع. ألاّ أكون هو إذَنْ بهذه البساطة؟ لا شكّ في ذلك لو كان الموتُ مُجرَّد تجربة، لكنّه التجربةُ في ذاتها. أيّ مغامرةٍ أيضًا في أن نلعب مع ظاهرة لا تحدث إلاّ مرّةً واحدة! نحن لا نجرّب الوحيد.

كُلَّما ازداد عذابُنا قلّ احتجاجُنا.
الاحتجاج علامة على أنّنا لم نعبر أيّ جحيم.

وكأنّي لم أحصُل على كفايتي من الهُموم، ها أنا منشغل أيضًا بالهموم التي كان في وسعنا معاناتها في عصر الكهوف.

نكرهُ أنفُسنا لأنّنا لا نستطيع نسيانَنا. لأنّنا لا نستطيع أن نفكّر في شيء آخر. لا مناص من أن يشتدّ سُخْطُنا على هذا التفضيل المفرط، ولا مناص من أن نبذل قُصارَى الجهد في سبيل الانتصار عليه. عِلْمًا بأنّ كراهية الذّات هي أقلّ الخطط نجاعة للنجاح في ذلك.

الموسيقى وهْمٌ يكفّر عن كلّ الأوهام الأخرى.

(لو كان *الوهم* لفظًا مرشَّحًا للانقراض لما عرفتُ أيّ مصير يكون لي.)

ليس مُتاحًا لأحد، في وضع حياد،
أن يُدرك نبضات الزمن. لابدّ لتحقيق ذلك من إحساس بالضِّيق *نابعٍ من ذاته*. حظوةٌ لا نعلم من أين تأتي.

ما إن نستشفَّ الفراغ ونُولَعَ
بالسّوناياتا مُتباهِينَ تارةً مُتكَتِّمين أُخرَى، حتى يتعذّر علينا أن نعبد إلهًا عاديًّا، متجسّدًا، شخصيًّا.

من ناحية أخرى فإنّ العُرْيَ الخالص من كلّ حضور، من كلّ تلوّث بشريّ، العري الذي أُلْغِيَتْ منه فكرةُ الأنا نفسِها، يُبطلُ إمكانيّة العبادة مهما كانت، لارتباطِها حَتْمًا بشيء من التفوّق الفرديّ. وذلك اعتبارًا بما جاء في أحد أناشيد الماهايانا[1]: «إذا كانت الأشياء كلّها فارغةً فمَنْ يعبُدُ مَنْ»؟

النّوم هو التّرياق الشّافي من
الحزن. وهو في ذلك أفضل من الزّمن.

---

(١) السّونياتا (Śūnyatā) أو الفراغ، يُشير بها بوذيّةُ الماهايانا إلى فراغ الأشياء من وجودها وطبيعتها. والماهايانا (Mahāyāna): أحد المذهبين الرئيسيّين للبوذيّة.

الأرق في المُقابل ينفخ في أدنى انزعاج ويحوّله إلى نكبات. يسهر على جراحنا ويمنعها من أن تتلف.

عوضًا عن الانتباه إلى وجوه المارّة، كنتُ أتأمّل أقدامهم، فإذا هؤلاء الهائجون مُجرّد خُطًى حثيثة - إلى أين؟ فجأة اتّضح لي أنّ مهمّتنا تتمثّل في ملامسة الغُبار بحثًا عن «سِرٍّ» لاَ جِدَّ فيه.

أوّلُ شيء رواه لي صديقٌ غاب عنّي لسنوات عديدة، أنّه عجز عن الانتحار، لأنّه خَزَّنَ منذ زمنٍ طويل كميّةً من الأسماك، ولم يعرف أيّها يُفَضِّل...

لا نُقوِّضُ أسبابَ الحياة من دون أن نُقوِّض بالمرّة أسبابَ *الكتابة*.

اللاّ–واقع، بديهةٌ أنساها وأعيد اكتشافها كُلَّ يوم. امتزجت هذه الكوميديا بحياتي حتى بتُّ لا أُفرّقُ بينهما. لماذا هذا التّكرار المُضحك، لماذا هذه المهزلة؟

الحقّ أنّها ليست كذلك، لأنّي بفضلها أنتمي إلى الأحياء أو أبدو كذلك.

ما من شخصٍ كما هُو، وقبل
سقوطه الصّريح، إلاّ وهو بَعْدُ ساقط، وعلى النّقيض من مثالِه الأصليّ.

كيف نفسّر أنّ واقعة كوننا لم نكن،
أنّ الغياب الهائل الذي يسبق الولادة، لا يُزعج أحدًا فيما يبدو،
وأنّ الشخص الذي حيّره الموضوع، هو نفسه، لا يبدو منزعجًا بالقدر الكافي؟

قال أحدُ الصينيّين إنّ ساعةً وحيدة
من السّعادة هي كلّ ما يمكن أن يُقِرَّ به شخصٌ بَلَغَ المائة من عمره، بعد أن يفكّر مليًّا في تقلُّبات وجوده.
... الجميعُ يُبالِغُون، فلماذا يكون الحُكماء استثناءً؟

أوَدُّ أن أنسى *كلّ* شيء وأن أستيقظَ
قُبالَةَ النُّور السّابق للحظات.

الكآبةُ تُكفّر عن هذا الوجود غير
أنّها هي التي تفصلنا عنه.

أن تكون أمضيْتَ شبابك في حرارةِ
مصنَع الخلْق[1].

كم من خيبة تقود إلى المرارة؟ -
واحدة أو ألف، حسب الموضوع.

تَصَوُّرُ فِعْلِ التفكير بوصْفِهِ حَمّامَ
سُمّ، لَهْوَ أفعى مُختصّة في الرِّثاء.

الله هو الكائن المُكَيَّفُ بامتياز،
عبدُ العبيد، سجينُ صفاتِه وما بِه يكون. في المقابل يتمتّع الإنسان بهامشٍ لكونه ليس كائنًا، أو لكونه يتخبّطُ في شِبْهِ واقِعٍ، بما أنّه لا يتمتّع إلاّ بوجود مستعار.

أبدت الحياةُ الكثيرَ من البراعة كي
تفرض نفسَها وكي تُلْغِيَها أيضًا. ما أكثر الوسائل التي اخْتَرَعَتْها للتخلّص من ذاتها! إلاّ أنّ الموت لُقْيَتُها الكُبرَى. نجاحُها الباهر.

---

(١) يستخدم سيوران عبارة Démiurgie نسبةً إلى Démiurge (الديميورغوس أو الحِرَفِيّ، خالقُ الكون الماديّ لدى أفلاطون). لذلك رجّحنا أنّه يقصد مكان العمل.

كانت السُّحب تتقاطر وكان من
اليسير في سكون اللّيل سماعُ صوتِها وهي تحثّ السّير. لماذا نحن هنا؟ أيّ معنًى يمكن أن يتضمّنه وجودُنا غير المنظور؟ سؤال بلا جواب. بَيْدَ أنّي أجبتُ عنه تلقائيًّا من دون أدنى تفكير، ومن دون أن يتغيّر لوني خجلاً من التفوّه بمثل هذه السّذاجة: «نحن هنا لأجل أن نتعذّب وليس لأجل أيّ شيء آخر».

لو حُذِّرْتُ من أنَّ لحظاتي ستهجرني
شأنها في ذلك شأن بقيّة الأشياء، لما شعرتُ بالخوف ولا بالنّدم ولا بالفرحة. غياب لا شرخ فيه. غابتْ كُلُّ لكنةٍ شخصيّة عَمّا كنتُ أظنّ أنّي لم أَكُفَّ عن الشُّعور به. لكنّي والحقُّ يُقال ما عدتُ أشعر بشيء. كنتُ أعيش بعد موت أحاسيسي، وعلى الرّغم من ذلك لم أكن ميتًا حيًّا. كنتُ حيًّا حقًّا ولكنْ كما نكون أحياء نادرا، وكما نكون أحياء لمرّةٍ واحدة.

نعاشر آباء الصّحراء ونقع مع ذلك
تحت تأثير آخر الاخبار! لو عشتُ في القرون الأولى لهذا العصر، لانتميتُ الى أولئك النُّسّاك الذين قِيلَ إنّهم بعد مدّة من الزمن «تعبوا من البحث عن الله».

على الرّغم من ظهورنا المتأخّر فإنّنا
سنكون محسودين من خَلَفِنا القريب، ومحسودين أكثر من خَلَفِنا

الأبعد. سنبدُو في نظرهم من ذوِي الامتيازات وهذا عن حقّ، لأنّ من صالح المرء أن يكون أبعد ما يمكن عن المستقبل.

لا يدخلنَّ علينا أحدٌ هنا إذا كان قد عاش يوما واحدا بعيدا عن الذُّهول.

منزلتُنا هي في مكانٍ مَا بين الكائن واللا-كائن، بين قصّتين خياليّتين.

علينا أن نعترف بأن الآخر يظهرُ لنا في صُورة المُهلْوس. نحن لا نتبعه إلاّ إلى حدّ معيّن. بعد ذلك يبدو لنا كلّ ما يصدر عنه هذيانًا بالضّرورة، بما أنّ همومه الأكثر شرعيّةً تبدو لنا غير مبرّرة وغير قابلة للتّفسير.

علينا ألاّ نطلب من اللّغة القيام بجهد غير مُطابق لقدرتها الطبيعيّة، أو على الأقلّ ألاّ نضطرّها إلى بذْل أقصى ما تملك. لنتجنّب المزايدة الكلاميّة، خوفًا من إنهاكها، فإذا هي عاجزة عن حمل عبء المعنى.

ما من فكرة تُخدِّرُ وتُطَمْئِنُ مثل فكرة الموت. ليس من شكّ في أنّ صفتها المزدوجة هي السّبب في أنّنا نلوكها باستمرار إلى حدّ أنّنا نعجز عن الاستغناء عنها. أيّ

حظّ في أن تجد داخل اللحظة نفسها، سمًّا وترياقًا، كشفًا يُميتك ويُحييك، سمًّا مُنَشِّطًا.

بعد أن نستمع إلى *تنويعات غولدبرغ*[1] - موسيقى فوق جوهريّة كي نستخدم الرّطانة الغنوصيّة، - نغمض العيون مستسلمين إلى الصّدى الذي خلّفته فينا. لا شيء يُوجد بعدُ باستثناء امتلاءٍ بلا مضمون، هو فعلاً الطّريقةُ الوحيدة لمحاذاة الكائن الأسمى.

للوصول إلى التحرّر لابدّ من الإيمان بأنّ كلّ شيء واقعيّ، أو بأنْ لا شيء واقعيّ. لكنّنا لا نتبيّن إلاّ درجات من الواقع، تبدو لنا الأشياء من خلالها حقيقيّةً بقدْرٍ مَا، موجودةً بقدْرٍ مَا. هكذا لا يكون في وسعنا أبدًا أن نعرف جليّةَ أمْرِنا.

الجِدِّيُّ ليس بالضّرورة صفةً من صفات الوجود. على العكس من التراجيديّ الذي يستتبع فكرةَ كارثةٍ مجانيّة، بينما يُوحي الجِدّيُّ بحدٍّ أدنى من الغائيّة. والحال أنّ فتنة الوجود في ألاّ تكون له أيُّ غاية.

---

(١) من أهمّ أعمال يوهان سيباستيان باخ.

الصُّعُودُ ثانيةً إلى الصِّفرِ السيِّد
الذي نَجَمَ عنه هذا الصِّفْرُ الخادم الذي يُكَوِّنُنا.

يَعْبُرُ كلٌّ منّا أزمته البروميثيوسيّة،
ويتمثّل كلُّ ما يقوم بعد ذلك في الافتخار بها أو الاستغفار عنها.

عَرْضُ جُمجمة في فيترينة هو في
حدّ ذاته تحدٍّ. أمّا عرضُ هيكل عظميّ كامل فهو فضيحة.
كيف يفرغ العابر المسكين إلى شؤونه بعد أن يُلقي عليه نظرةً وإن كانت خاطفة، وفي أيّ حالة يذهب العاشق إلى موعده؟
أمّا الوقفة المتأنّية أمام تحوّلنا الأخير، فهي حَرِيَّةٌ بأنّ تُثبط كلّ رغبة وكلّ هذيان.
هكذا لم يبق لي وأنا أبتعد إلاّ أن ألعن تلك البشاعة العموديّة وقهقهتَها التي لا تتوقّف.

«**إذَا** ظَنَّ وَكْرًا مُقْلَتِي طائِرُ الكَرَى،
رَأَى هُدْبَها فَارتَاعَ خَوْفَ الحَبائِلِ».
من سبر أغوار النّوم أفضل من ابن الحمارة[1]، هذا الشاعر العربيّ الأندلسيّ؟

---

(١) أبو حسين علي بن الحمارة: شاعر غرناطيّ اشتغل بالفلسفة وبرع في الألحان وعلْمها.

تلك اللحظات، حين تكفي ذكرى أو
أقلّ كي ننزلق إلى خارج العالم.

أن تُشبه عدّاءً يتوقّف في ذروة العدو
كي يحاول فهم مبرّر السِّباق. التأمُّل اعتراف بانقطاع النفس.

شكلٌ تُحسَدُ عليه من أشكال
الشّهرة: ربطُ اسمك، على غرار جدّك الأوّل، بكارثة تبهر
الأجيال.

«**ما** هو ليس بدائم هو ألم، ما هو
ألم ليس بأنا، ما هو ليس بأنا ليس لي، أنا لست هو، وهو ليس
أنا». (ساميوتا نيكايا).

ما هو ألم ليس بأنا. يصعب بل يستحيل الاتّفاق مع البوذيّة
على هذه النقطة، على الرغم من أنّها أساسيّة. الألم بالنسبة إلينا
هو أكثر ما هو نحن، أكثر ما هو الذات. يا لها من ديانة غريبة!
ترى الألم في كلّ مكان وتؤكّد في الوقت نفسه أنّه غير واقعيّ.

لم يَعُدْ على سيماه أيّ أثَرٍ للتهكّم،
وذلك لأنّه على صلة تكاد تكون خسيسةً بالحياة.

أولئك الذين لم يتنازلوا للتشبّث بها يحملون على وجوهم

ابتسامة استهزاء، علامةً على تحرّرهم وانتصارهم. هم ليسوا ذاهبين إلى العدم، هم خارجون منه.

كُلُّ شيء يجيء بعد الأوان. كُلُّ
شيء فات أوانُه.

قَبْلَ مشاكله الصحيّة الخطيرة كان
عالمًا، ومنذئذ. . .سقط في الميتافيزيقا.

للانفتاح على الهذيان الجوهريّ نحتاج إلى المآسي الوفيّة، النَّهِمَةِ إلى التجدُّد.

أن تقضي الليل في رفع جبالٍ بحجْم
الهملايا، وأن تسمّي ذلك نومًا!

مُستَعِدٌّ للتّضحية بكلّ شيء في
سبيل التّحرُّر من هذه الأنا البائسة، التي تحتلّ في هذه اللّحظة تحديدًا مكانًا من الكُلّ لم يجرؤ أيّ إله على أن يحلم به.

لابدّ من تواضع كبير كي نموت.
الغريب أن يُبرهن الجميعُ على ذلك.

هذه الأمواج بهيجانها وهديرها المتواصل، سرعان ما تحجُبُها المدينة باضطرابها الأكثر سخْفًا والأقلّ جدوى. نُغمض العيون ونترك لهذا الهدير المزدوج أن يغمرنا، فيُخيّل إلينا أنّنا نشهد استعدادات الخلق، وسرعان ما تتوه بنا التأمّلات في عِلْمِ نشأة الكون. أعجوبة الأعاجيب: لا مسافةَ بين الرجّة الأُولى وهذه النقطة غير المسمّاة التي وصلنا إليها.

كُلُّ شكل من أشكال التقدّم فَساد، بناءً على أنّ الكائن هو فسادُ اللّا كائن.

قد تُعاني من ليالي السُّهاد ما يُثِير غيرةَ أكبر المُعذَّبين في الأرض، إلاّ أنّ أحدًا لن يُصدّقكَ مَا لم يَبْدُ أثَرُها على ملامحك. في غياب الشُّهود لا تملك إلاّ أن تستمرّ في لَعِبِ دور الكاذب وفي التّمثيل أفضلَ من أيٍّ كان، إلى أن تُصبح أنت نفسك شريكًا للذين لا يُصدّقون.

كُلُّ فِعْلٍ سَخِيٍّ هو فعْلٌ مُناقِضٌ للطّبيعة. الدّليلُ على ذلك أنّه يُثيرُ فيك، فورًا أحيانًا وبعد أشهر أو أعوام في أحيان أخرى، إحساسًا بالضيق لا تجرؤ على الاعتراف به لأحد، ولا حتّى لنفسك.

لم يكُن من موضوع في هذه الجناز
غير الظلّ والحلم والتّراب الذي إلى التّراب يعود. ثمّ، ومن دون مقدّمات، وُعِدَ المتوفّى بالفرح الأبديّ وما يتبعه. أغاظني كلّ هذا التناقُض ودفعني إلى ترك الرّاهب والمتوفّى. وأنا أبتعد، لم أملك نفسي عن التفكير في أنّي لم أكن في المكان المناسب للاحتجاج على من يتناقضون بمثل تلك الصّراحة.

أيّ إحساس بالارتياح عند الإلقاء
بمخطوط في سلّة القمامة، باعتباره شاهدًا على حُمّى خمدت، على هَوْجَةٍ يُرثى لها.

هذا الصّباح فكّرتُ، أي فقدتُ
صوابي لمدّةٍ لا تقلّ عن ربع السّاعة.

كُلُّ ما يُضايقنا يُساعدنا على تحديد
أنفُسنا. من دون مُضايقات لا إمكان لهُويّة.
ذاك حظُّ وسُوءُ حظّ كُلّ جِسْمٍ واعٍ.

لو كان وَصْفُ الشّقاء بمقدار سهُولةِ
عيشِه!

ولو مسافةَ إيماضةِ برق، في أنّهم سيتحدّثون ذات يومٍ عن *بقايانا*.

نُلِحُّ على أمراض الإرادة، وننسى
أنّ الإرادة مشبوهةٌ في ذاتِها، وأنّه ليس من *الطبيعيّ* أن نُريد.

بعدَ أن لغوتُ لساعات، ها أنا
فريسة الفراغ. الفراغ والخزي.

أليس من عدم اللّياقة أن نعرض أسرارنا على الملأ، أن نقول ذاتنا بذاتها، أن نحكي وأن نَحْكِيَنا، في حين أنّ أَكْمَلَ لحظات حياتنا هي تلك التي عرفناها خلال الصّمت، خلال *إدراك* الصّمت؟

حين كان مراهقًا علّق تورجنيف
على جدار غرفته صورة فوكييه-تانفيل[1].

يكفي أن يرتكب الجلاّدون ما يرتكبون باسم المُبْهَم

---

(1) إيفان تورجينف (١٨١٨-١٨٨٣): أديب روسيّ، من روائعه رواية «الآباء والبنون».
أنطوان فوكييه دو تانفيل Fouquier-Tinville (١٧٤٦-١٧٩٥): رجل قانون فرنسيّ. تحمّل مسؤوليّة الادّعاء العامّ أيّام «المحكمة الثوريّة» قبْلَ أن يُحكَم عليه بالإعدام عن طريق المقصلة.

والمُفَخَّم، كي يرى فيهم الشّبابُ مثَلاً أعلى، دائمًا وفي كلّ مكان.

للحياة نفسُ المقدار الضّئيل من المضمون الذي للموت. المؤسف أنّنا نعرف ذلك بعد فوات الأوان، حين لا يساعدنا ذلك لا على الحياة ولا على الموت.

تَطْمَئِنُّ، تنسى عدوَّك، بينما هو يسهر وينتظر. إلاّ أنّ المهمّ أن تكون مستعدًّا حين يهجم. ستكون لك الغلبة، لأنّه سيكون أوهن بسبب ذلك الاستهلاك الهائل للطّاقة، الذي يتمثّل في الكراهية.

مِنْ بين كُلِّ ما نشعرُ به، لا شيء يمنحنا الانطباع بأنّنا في قَلْبِ الحقيقيّ نفسِه، مثل نوبات اليأس التي لا نرى لها مبرّرًا. بالمقارنة يبدو لنا كُلُّ ما عدَا ذلك تافِهًا، مغشوشًا، مجرّدًا من كلّ ماهيّة ومن كلّ أهميّة.

عَياءٌ مستقِلٌّ عن كُلِّ استنزافٍ للأعضاء. عَياءٌ لا زمانيٌّ لا علاج له، ولا يمكن لأيّ راحةٍ وإن كانت الرّاحةَ الأبديّةَ أن تنتصر عليه.

كُلٌّ شيء مفيد، باستثناء التّساؤل لحظةً بعد أخرى عن معنى أفعالنا. كُلٌّ شيء أفضل من المسألة الوحيدة المهمّة.

لَمَّا كنتُ قد اهتممتُ منذ زمان بجوزيف دو ميستر[1]، وعوضًا عن مراكمة التّفصيل على التّفصيل شرحًا لشخصيّته، كان عليّ أن أُذَكِّرَ بأنّه لم يكن يستطيع النّوم إلاّ لثلاث ساعات على الأكثر. هذا يكفي كي نفهم مفكّرًا أو أيًّا كان. إلاّ إنّي سهوت عن ذكر الواقعة.

سهو لا يُغتفر خاصّةً والبشر يُقسّمون إلى نوّامين وسهّارين. نوعان من الكائنات أبدا غيرُ قابِلَيْنِ للاندماج، ولا شيء مشترك بينهما غير مظهرهما البدنيّ.

سنتنفّس أخيرًا بشكلٍ أفضل لو أنّنا علمنا ذات صباح أنّ أشباهَنا تَبَخَّرُوا في أغلبهم بضربة عصًا سحريّة.

لابدّ من أن تتوفّر لدينا استعدادات دينيّة قويّة كي نستطيع التفوّه عن قناعة بكلمة *الكائن*. لابدّ من أن

---

(١) جوزيف دو ميستر Joseph de Maistre (١٧٥٣-١٨٢١): فيلسوف وسياسيّ ومؤرّخ من السافوا (من رعايا سردينيا). أثّر في الكثيرين وترك مؤلّفات كثيرة لا يُغفَل ذكْرُها حتّى اليوم.

نؤمن كي نقول ببساطة متحدّثين عن شيء أو عن شخص إنّه *كائن*.

كُلٌّ فصلٍ محنة. الطبيعةُ لا تتغيّر ولا تتجدّد إلاّ لتضربنا.

في الأصلِ من كُلِّ فكرةٍ مهما تضاءلَ شأنُها تتجلّى ملامحُ اختلالٍ في التوازن. ماذا نقول والحالُ تلك في شأن الاختلال الذي تصدر عنه الفكرةُ نفسُها؟

إذا كنّا في المجتمعات البدائيّة نتخلّص من الشُّيوخ بسرعة مفرطة، فإنّنا في المجتمعات المتمدّنة، على العكس من ذلك، نربت عليهم ونسمّنهم.

المستقبل، وليس هناك أيّ شكٍّ في ذلك، لن يتمسّك إلاّ بالموديل الأوّل.

مهما هجرتَ معتقدكَ الدينيّ أو السياسيّ، فإنّك ستحتفظ بالعناد والتعصّب اللذين قاداك إلى اعتناقه. ستظلّ مغتاظًا دائمًا، إلاّ أنّ غيظك سيتوجّه ضدّ المعتقد الذي تخلّيت عنه. التعصّب المرتبط بجوهرك، سيظلّ هناك بمعزل عن القناعات التي تستطيع الدفاع عنها أو رفضَها.

العمق، عمقُك، سيظلّ هو نفسُه، وليس في تغيير آرائك ما يجعلك تنجح في تغييره.

الزُّوهار يضعنا في حرج: إذا قال حقًّا فإنّ الفقير يَمْثُلُ أمام الله مصحوبًا بروحه وحدَها، أمّا الآخرون فلن يكونوا مصحوبين إلاّ بأجسادهم.

ولمّا كان من المستحيل الحسم في الموضوع، فإنّ الأفضل أن ننتظر.

لابدّ من عدم الخلط بين الموهبة والمهارة. المهارةُ هي في أغلب الأحيان خاصّةُ الصنائعيّ.

من ناحيةٍ أخرى، كيف نستطيع من دون المهارة أن نسبغ شيئًا من الظّرافة على الحقائق أو الأخطاء؟

ما من لحظةٍ تمرُّ دون أن يُدهشني وُجودي فيها تحديدًا.

من بين عشرات الأحلام التي تتراءى لنا، يُوجَدُ حلمٌ وحيدٌ ذو دلالة، هذا إن وُجِد! البقيّة: فضلات، أدبٌ سطحيّ أو مثير للتقيّؤ، هلوساتُ عبقريّةٍ غبيّة.

الأحلام التي تتمدّد تُبرهن على عجز الحالِم الذي لا يعرف بأيّ طريقة يختم، فيجهد كي يعثر على نهاية من دون أن ينجح

في ذلك. تمامًا مثلما يحدث في المسرح حين يُمَطِّطُ المؤلّف الأحداث لأنّه لا يعرف كيف وأين يتوقّف.

هُمومِي أو بالأحرى أمراضي تتبعُ
سياسةً لا قِبَلَ لِي بها. أحيانًا تتوافق وتتقدّم مجتمعة، أحيانًا يذهب كلّ منها في اتّجاه، أمّا في الأغلب فهي تتقاتل، وسواءٌ اتّفقت أم اختلفت، فإنّها تتصرّف وكأنّ مناوراتها ليست من شأني، وكأنّي لستُ حيالَها سوى متفرّجٍ مذهول.

يقتصر اهتمامُنا على ما لم نُحقّقه،
على ما لم يكن في وسعنا تحقيقه، حتى إنّه لا يبقى من حياتنا إلاّ ما لم تَكُنْهُ.

الحلمُ بمؤسّسةِ تدميرٍ لا تَغْفَلُ عن
أيّ أثرٍ من آثار الانفجار الأصليّ.

سُخْط

بِرْكَةُ سوستون[1]. الثّانية بعد منتصف النّهار. كنتُ أُجَذِّف حين صعقتني ذكرَى عبارة: «لا شيء يفيد بشيء». لو كنتُ وحيدًا لألقيتُ بنفسي في المياه على الفور.

لم يَنْتَبْني قَطُّ مثْلُ هذا الإحساس العنيف بالحاجة إلى وضع حدٍّ للأمر كُلِّه.

اِلْتِهامُ سِيرةٍ ذاتيّة بَعْدَ سِيرَةٍ ذاتيّة، للاقتناع أكثر بأنْ لا فائدةَ في أيّ عمل، في أيّ مصير.

اِلتقيتُ فلانًا. كنتُ على استعداد لدفع كلّ ما أمْلكُ كي لا ألتقيه ثانيةً. أن تكون مضطرًّا إلى

(١) تنتمي مدينة سوستون الفرنسيّة إلى إقليم لاند التابع لمنطقة أكيتانيا، جنوب غربيّ البلاد.

معاناة مثل هذه الخلائق! كان يتحدّث بينما كنتُ أتحسَّرُ على كوني لا أَمْلكُ قدرةً خارقة تمحونا من الوجود فورًا أنا وهو.

هذا الجسد، ما فائدته إن لم يكن لمساعدتنا على فَهْمِ ما تعنيه كلمةُ جلاّد.

الشُّعور الحادّ بإثارة الاستهزاء تجعل من الصّعب إن لم يكن من المستحيل إتيان أيّ فعل. سعداء أولئك الذين لم يمتلكوا مثل هذا الشُّعور. لا شكّ أنّ العناية الإلهيّة كانت في حراستهم.

في معرضٍ للفنّ الشرقيّ، أرى بْرَاهْمَا مُتعدِّدَ الرُّؤوس، متضايقًا، مكتئبًا، مخبولاً إلى أقصى درجة.

في مثل تلك الوضعيّة يروق لي أن أتخيّل ربّ الأرباب.

أَضِيقُ بالجميع. لكنّي أحبّ أن أضحك ولا أستطيع أن أضحك لوحدي.

لمّا كنتُ لم أعرف يومًا الهدف الذي أسعى إليه في هذا العالَم، فإنّي دائمًا في انتظار ذاك الذي يستطيع أن يحدّثني عن هدفه.

حين سئِل البُوذَا لماذا يبدو الرهبان المرافقون له مُشْرِقِينَ إلى هذا الحدّ، أجاب بأنّهم لا يفكّرون لا في الماضي ولا في المستقبل. الحقّ أنّنا نتجهّم ما إن يخطَر ببالنا هذا أو ذاك، ونتجهّم تمامًا ما إن نفكّر في كليهما.

من وسائل التفريج عن الغَمّ: إغماض العينين نسيانًا للنُّور وكلٍّ ما يكشف عنه.

ما إن يتنكّر كاتبٌ في زيّ فيلسوف حتى يمككنا التيقُّنُ من أنّه يخفي نقصًا. *الفكرة* ستارةٌ لا تُخفي شيئًا.

تتوهّجُ العُيونُ فجأةً في حالة الإعجاب كما في حالة الحسد. كيف نميّز هذه من تلك في عُيونِ من لا ثقةَ لنا فيهم.

كلَّمَني في عزّ الليل كي يقول لي إنّه غير قادر على النّوم. أعطيتُهُ درسًا حقيقيًّا في هذا النّوع من الشّقاء الذي هو الشّقاءُ عينُه. في خاتمة الدّرس كنتُ من الرِّضَى عن أدائي حدَّ أنّي عدتُ إلى فراشي عودةَ الأبطال، فخورًا بمواجهة السّاعات التي ظلّت تفصلني عن النّهار.

يتضمّنُ نَشْرُ كتابٍ نفسَ النّوع من الهُمُوم الذي يتضمّنه عُرسٌ أو جنازة.

يحسُنُ بنا ألاّ نكتُب عن أحد. أنا واثق من ذلك إلى درجة أنّي كلّما اضطررت إلى الكتابةِ عن أحدهم، كانت فكرتي الأولى الهُجوم عليه حتى وأنا مُعجَبٌ به.

«ورأى الله النُّور أنّه حسَنٌ».

هكذا يرى الفانون أيضًا، باستثناء من جفاه النّوم، الذي يبدو له النّور عُدوانًا، جحيمًا جديدًا أقسى من جحيم الليل.

تأتي لحظةٌ يفقد فيها النَّفْيُ نفسُهُ كلّ بَريقٍ ويفسد، فإذا مَصيرُهُ مصيرُ الإثبات: الكُلُّ إلى المجارير.

يُرجِّحُ لويس دو بروليّ[1] وُجُودَ قرابةٍ بين «إتيان الظُّرف» و«إتيان اكتشافات علميّة»، علمًا بأنّ الظُّرفَ هنا يعني «القدرة على إنشاء علاقات مُفاجئة بين أشياء متباعدة».

لو صحّ ذلك لما استطاع الألمانيّون إحداث أيّ تجديد في المجال العلميّ. كان سويفت قد سبق إلى التعجُّب من امتلاكِ

---

(١) لويس فيكتور دو بروليّ Louis de Broglie (١٨٩٢-١٩٨٧): فيزيائيّ فرنسيّ. حصل على جائزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩٢٩.

شعبٍ من الثُّقلاء اختراعاتٍ بهذا العدد. إلاّ أنّ الاختراع لا يفترض الحيويّة بقدر ما يتطلّب المثابرة، القدرةَ على الحفر، على التنقيب، على ركوب الرأس. . . الشرارة تنبعث من العناد.

لا شيء مملّ بالنّسبة إلى من تحثُّهُ عادةُ التعمّق. سيسترسل في أيّ موضوع، عصيًّا على القلق، من دون أن يرحم قرّاءه إن كان كاتبًا، من دون أن يعبأ بهم إن كان فيلسوفًا.

قلتُ لأحد المحلّلين النّفسانيّين الأمريكان إنّي وقعتُ وقعةً كادت تودي بحياتي في مزرعة إحدى الصّديقات، حيث كنتُ أستشرسُ في لَعِبِ دور المُشذِّب المُحترف أمام بعض الأغصان الجافّة لشجرة سيكوا. - «لم يكن إصرارُكَ على معاندة تلك الشّجرة لأجل تشذيبها، بل كان عقابًا لها على أنّها قد تدوم أكثر منك. كنتَ ساخطًا عليها لأنّها قد تعيش بعدَك وكانت رغبتُكَ السريّة أن تنتقم منها وأن تسلبها أغصانَها».

. . . كلامٌ قد يُقرفك نهائيًّا من كلّ شرحٍ عميق.

يانْكِي آخر، أستاذ هذه المرّة، اشتكى من أنّهُ لم يَجِدْ بعدُ موضوعًا لدَرْسِه القادم. - «لماذا لا يكون حول الكاووس وفتنته؟» - «هذا الموضوع مجهول بالنسبة إليّ. لم أكن يومًا عُرْضةً لهذا الضرب من الفتنة». هكذا أجابني.

التفاهُم مع مسْخٍ أسْهَلُ من التفاهم مع نقيض المسْخ.

كنتُ أقرأ *القارب السكران* على شخصٍ لا يعرفه ولا علاقة له بالشّعر أصلاً.

«لكأنّه قادم من العصر الثّالث» ذاك كان تعليقه ما إن أنهيتُ القراءة.

إذا أردنا تقييمًا فهذا تقييم.

البروفيسور ت.ز، أحد كبار العباقرة على قلّتهم. ولعٌ شديد بالشفويّ نفورًا من الكتابة أو عجزًا عنها. آلاف اللّمعات المنثورة في البلقان والضّائعة إلى الأبد. كيف نعطي فكرة عن قريحتهِ وجنونه؟ قُلتُ له ذات يوم «أنت مزيج من دون كيشوت والله». زُهِيَ للأمر في البداية، إلاّ أنّه جاءني من الغد في الصباح الباكر فقال: «حكايتُك عن دون كيشوت لا تعجبني».

بين العاشرة والرابعة عشرة من عمري كنت أقيم في نُزلٍ للعائلات. وكنتُ أمرُّ من أمام إحدى المكتبات في طريقي إلى المعهد كلّ صباح، فأُلقِي نظرة على الكُتب التي كانت تتغيّر بسرعة مفرطة، حتّى بالنّسبة إلى مكتبة مثل هذه في مدينةٍ من ريف رومانيا. كتابٌ واحدٌ بدا لِي منسيًّا في إحدى زوايا الواجهة طيلةَ شُهور: *الوحش الآدميّ* لزولا. الذكرى الوحيدة التي ظلّت تسكنني من تلك السنوات الأربع هو ذاك العنوان.

كُتُبي، أثَرِي. . .كم تبدو ضمائر المِلْكِيّة مثيرةً للضّحك.

فسد كلّ شيء منذ كفّ الأدبُ عن أن يكون خاليًا من التّوقيع. تاريخ الانحطاط يعود إلى أوّل مؤلِّف.

قرّرتُ في زمن قديم ألاّ أُصافح أيّ شخصٍ في صحّةٍ جيّدة. ثمّ كان عليّ منذئذ أن أتراجع عن قراري، لأنّي سرعان ما اكتشفتُ أنّ كثيرين ممّن اعتقدتُ أنّهم أصحّاء لم يكونوا كذلك بقدْر ما اعتقدت. أيّ فائدة في أن أتّخذ لي أعداءً بناءً على شُكوك؟

لا شيء يُضايق استمراريّة التفكير مثل الإحساس بالحضور المُلِحّ للدّماغ. ربّما كان ذاك هو السّبب الذي جعل المجانين لا يفكّرون إلاّ في شكل *ومضات*.

هذا العابر، ماذا يُريد؟ لماذا يعيش؟ وهذا الطّفل وأُمّه وذاك الشيخ؟

لا أحد يجد فضْلاً في نظري أثناء هذه الجولة الملعونة. دخلتُ أخيرًا دُكّان قَصّابٍ عُلّق فيه ما يُعادِلُ نصفَ البقرة. أمام هذا المشهد كدتُ أنفجر بُكاءً.

خلالَ نوبات سخطي أشعر بأنّي
قريبٌ بشكلٍ مُزعجٍ من القدّيس بول. صِلاتِي بالمسعورين وبِكُلّ
من أكره. هل ثمّة أبدًا من شابَهَ مُناقِضِيه بهذه الطريقة؟

يُقرِفُني الشكُّ المنهجيّ أكثر من أيّ
شيء آخر. يروق لي أن أشكّ لكن وقتما أشاء فحسب.

كأنّي طالعٌ من ضربٍ من اللانجاعة
الأساسيّة... قبل لحظاتٍ أردت أن أنكبَّ على موضوع جديّ،
وحين لم أُفلح في ذلك أويتُ إلى الفراش. غالبًا ما تقودني
مشاريعي إلى الفراش، المحطّة المُقدَّرَة سَلفًا لطموحاتي.

ثمّة دائمًا من هو فوقَنا: فوق الله
نفسه يرتفع العدَم.

الهلاك! - هذه الكلمة التي أحبُّ
أكثر من كلّ الكلمات، والتي، ويا للغرابة، لا توحي لي بأيّ
شيء غير قابل للإصلاح.

ما إن يكون عليّ أن ألتقي أحدهم
حتى تداهمني الرغبة في الانعزال، إلى درجة أنّي أفقدُ كُلَّ

سيطرةٍ على كلماتِي لحظةَ يتوجّب الكلام، فيظهر تعثُّرها في مظهر الفصاحة.

يَا لَهذا الكون الفاشل حدَّ الرّوعة!
هكذا نردّد حين نكون مستعدّين للتنازلات.

الخِداعُ لا يتزامن مع الألم البدنيّ.
ما إن يُعلِن هيكلُنا العظْمِيّ عن نفسه حتى نُسْحَبَ إلى أبعادنا الطبيعيّة، إلى اليقين الأكثر قهْرًا، الأكثر تخريبًا.

أيّ حافزٍ على الضحك حين نسمع
كلمةَ هدف ونحن نسير في جنازة.

نَمُوتُ منذ الأزل وعلى الرّغم من
ذلك لم يفقد الموتُ نضارَتَه. ثمّةَ يكمن سِرُّ الأسرار.

أن تقرأ، يعني أن تدع الآخر يتعذّب
نيابةً عنك. أكثر طُرق الاستغلال لطفًا.

كُلٌّ من يقتبس منّا عن طريق الذّاكرة
مُخرِّبٌ يجب أن يُعرض على القضاء. الاقتباسُ المُشوَّه يُعادل خيانة، شتيمة، ضررًا تتضاعفُ خطورته لكونه يُلحَقُ بنا بدعوى خدمتنا.

هل الأشقياءُ إلاّ شهداء ساخطون
لكونهم لا يعرفون في سبيل من يستشهدون؟

أن تفكّر، يعني أن تخضع لأوامرِ
ونزواتِ صحّةٍ مشكوكٍ فيها.

بدأتُ يومي مع المُعلّم إيكارت ثمّ
التفتّ إلى إبيقور، والنّهار لم ينته بعدُ: مع من سأختمه؟

ما إن أخرج من «أنا» حتى أنام.

من لا يؤمن بالقدر يبرهن على أنّه
لم يعش.

إذَا حدث لي أن أموت ذات يوم.

امرأةٌ مُسِنّة راق لها وهي تتجاوزني
أن تقول بصوت مرتفع ومن دون أن تنظر إليّ: «لا نرى في هذه الأيّام سوى جُثث متنقّلة في كلّ مكان». ثمّ أضافت من دون أن تلتفت إليّ أيضًا: «أنا مجنونة، أليس كذلك يا سيّدي؟» - ليس كثيرًا، أجبتُها، متظاهرًا بالتواطؤ.

أن ترى في كلّ رضيع نسخةً قادمة
من ريتشارد الثالث. . .

نكتشفُ في كلّ الأعمار أنّ الحياة
خطأ. لكن في الخامسة عشرة، يكون الأمر كشفًا مصحوبًا بقشعريرة رعب إضافةً إلى شيء من السّحر. بمرور الزّمن يفسد هذا الكشف ويتحوّل إلى عمًى. هكذا نتحسّر على تلك المرحلة، حين كان مصدرًا للاَّمُتَوَقَّع.

في ربيع ١٩٣٧ كنتُ أتجوّل في
حديقة مستشفى الأمراض العقليّة بسيبيو في ترانسلفانيا حين دنا منّي أحدُ «المُقيمين». تبادلنا بعض الكلمات ثمّ قلت له: «الجميع على ما يُرام هنا». أجابني: «طبعًا. من المُفيد أن يكون المرء مجنونًا». - «ولكنّكم في نوع من السجن على أيّ حال؟» - «هو كذلك إن شئت. لكنّنا نعيش فيه دون أيّ مشاغل. علاوةً على أنّ الحرب تقترب كما تعلم. وهذا المكان آمن. إنّهم لا يقصفون مُستشفيات المجانين. لو كنتُ مكانَك لسعيتُ إلى أن أُحْجَزَ فيه على الفور».

غادرتُه مُضطربًا مندهشًا، وحاولتُ أن أعرف المَزيد عنه. قِيلَ لِي إنّه مجنون حقًّا. مجنونًا كان أم لا، لم يُقدّم لي أحدٌ نصيحةً أعقل من تلك في حياتي كلّها.

البشريّةُ المَعيبة هي التي تُشكّل مادّة الأدب. يرتاحُ الكاتبُ لِفسادِ آدم، ولا يزدهر إلاّ بقدر ما يتحمَّلُ كُلٌّ منّا مسؤوليّة ذلك الفساد ويعملُ على تجدُّدِه.

في موضوع الإرث البيولوجيّ: يبدو أنّ لأدنى تجديد نتائج وخيمة. الحياةُ مُحافظةٌ وهي لا تزدهر إلاّ عن طريق التكرار والكليشيه والابتذال. كلّ ما هو نقيض الفنّ.

كان جنكيز خان يصطحب في غزواته حكيمَ التّاو الأكبر في زمانه. الوحشيّةُ القُصوى نادرًا ما تكون مُبتَذَلة: لديها دائمًا شيء غريب وراقٍ يدعو إلى الخوف والاحترام. أمّا غيّوم الفاتح وكان أيضًا بلا رحمة تُجاه رفاقه وأعدائه، فهو لم يحبّ إلاّ الحيوانات المتوحّشة والأدغال المعتمة، حيث كان يتجوّل دائمًا لوحده.

كنتُ أستعدّ للخروج وأهُمُّ بلفّ الشّال حول عنُقي حين نظرتُ إلى نفسي في المرآة. فجأةً رُعبٌ لا يُوصَف: من *هذا*؟ استحال عليّ أن أتعرّف على نفسي. عبثًا تعرّفتُ على معطفي، ربطة عنقي، قبّعتي، إلاّ أنّي لم أعرف من كُنت، لأنّي لم أكن *أنا*. استمرّ الأمرُ لعدد من الثواني، عشرين، ثلاثين، أربعين؟ حين أفلحتُ في التعرّف على نفسي

من جديد ظلّ الرُّعب ملازمًا مكانه. كان لابدّ من انتظار أن يَقْبَلَ بالانسحاب.

يجب على المحارة كي تبني قوقعتها، أن تمرّر عبْرَ جسمِها من مِياه البحر ما يُعادل وزنَها خمسين ألف مرّة.

...إلى أين ذهبتُ بحثًا عن دُروسٍ في الصّبر!

قرأتُ في مكانٍ مَا الملاحظة التالية:

«الله لا يتكلّم إلاّ على نفسِه».

في هذه النقطة تحديدًا، للأعلى أكثر من غريم.

أن نكون أو لا نكون.

...لا هذا ولا ذاك.

كُلّما وقعتُ على نصّ بوذيّ، وإن كان مجرّدَ جملةٍ، انتابتني الرّغبة في العودة إلى تلك الحكمة التي حاولتُ اعتناقها لمدّة طويلة من الزّمن، ثمّ انصرفتُ عنها جزئيًّا لأسباب لا أفهمها. في تلك الحكمة يكمن شيء أفضل من الحقيقة...عن طريقه نرتقي إلى حيثُ نصبح خالصين من كلّ شيء، ومن الأوهام في مرتبة أولى. ألاَّ يكون لديك وهم من دون أن تُشرف على الانهيار، أن تغوص في اللاّمُبالاة من

دون أن تقع في الغيظ، أن تتحرّر كلّ يومٍ أكثر من تلك العتْمة التي تتسكّع فيها عصاباتُ الأحياء.

أن تموت يعني أن تُغيّر النّوع، أن تتجدّد.

حَذارِ من المفكّرين الذين لا تَعْمَلُ عُقولهم إلاّ انطلاقًا من الاقتباس.

إذًا كانت العلاقات بين البشر بهذه الصّعوبة، فلأنّهم خُلِقُوا كي يُهَشِّمَ أحدهم وجْهَ الآخر لا كي تكون لهم «علاقات».

لم تكن المحادثة معه أقلّ ابتذالاً من المحادثة مع محتضر.

أن نكفّ عن الوجود لا يعني شيئًا ولا يمكن أن يعني شيئًا. ما جدوى الانشغال بما يبقى بَعْدَ ما هو لا-واقعٌ، بشِبْهِ شيءٍ يَخْلفُ شِبْهَ شيء؟ الموتُ ليس في الواقع شيئًا. إنّه ليس أكثر من مظهر مسرحيّ للغامض، كالحياة نفسِها. بروباغندا المقابر المضادّة للميتافيزيقا...

ثمّة شخصيّة فرضت نفسها عليّ في
الطُفولة: فلاّح حصل على ميراث وأخذ ينتقل من حانة إلى حانة مصحوبًا بموسيقيّ. في أحد أيّام الصيف الرائعة خرجت القرية كلّها إلى الحقول، وظلّ وحده مصحوبًا بعازف الكمان الخاصّ به، يذرع الشوارع الخالية مدندنًا ببعض الأغاني العاطفيّة. بعد عامين إذَا هو مُعْدمٌ كما كان. إلاّ أنّ الآلهة رحمته فدعته إليها بسرعة. انبهرتُ به من دون أن أعيَ الأسباب وكنتُ على حقّ. حين يخطُرُ ببالي اليومَ أُصِرُّ على الاعتقاد بأنّه كان شخصًا مهمًّا حقًّا، وأنّه من بين كلّ سكّان البلدة، الوحيد الذي امتلك القدرة على إفساد حياته.

رغبة في الزئير، في البصاق في
وجوه النّاس، في جرّهم أرضًا ودوسهم بقدميّ...
تدرّبتُ على اللّياقة إهانةً لغيظي، وها هو غيظي ينتقم كلّما استطاع.

لو طُلِب منّي أن ألخّص بأكبر قدْرٍ
من الإيجاز رؤيتي إلى الأشياء، وأن أختزلها في العبارة الأكثر اقتضابًا، لوضعتُ عوضًا عن الكلمات علامة تعجُّب، هكذا ! نهائيّة.

نسخ ديموستيني بيده ثماني مرّات
ثيوسيديديس[1]. هكذا نتعلّم اللّغة. ينبغي علينا أن نمتلك الشّجاعة الكافية لنسخ كلّ الكتب التي نُحِبّ.

أن يكره أحدهم ما نقوم به، أمرٌ
نسلّمُ به بقدرٍ مَا. أمّا أن يُشيح عن كتابٍ نصحناه به فهذا أخطر، وهو يجرحنا أكثر من عدوان غادر. هو إذنْ تشكيكٌ في ذوقنا وفي قدرتنا على التمييز!

حين ألاحظ انزلاقي نحو النّوم
يُخيّل إليّ أنّي أغوص في هاويةٍ رحيمة، أسقط فيها إلى الأبد من دون أيّ إمكانيّة للفرار. والحقّ أنّ الرغبة في الفرار لا تُخامرني إطلاقًا. كلّ ما أتمنّاه في تلك اللحظات هو أن أراها بأكثر ما يمكن من الوُضوح، ألاّ أضيّع منها شيئًا وأن أستمتع بها إلى آخرها، قبل اللاوعي، قبل الغبطة.

جوفينال آخرُ شعراء روما المهمّين
ولُقيان آخرُ كتّاب اليونان المؤثّرين، اشتغلا على السخرية.

---

(١) ديموستيني Démosthène (٣٨٤-٣٢٢ ق م): أحد خطباء أثينا القديمة الكِبار. ثوثيديديس Thucydide (٤٦٠-٣٩٥ ق م): من أهمّ المؤرّخين الإغريق.

أدبان انتهيا بالسّخرية كما ينبغي أن تكون نهايةُ كُلِّ أدبٍ وكُلِّ شيء.

ينبغي على العودة إلى ما هو غيرُ عضويٍّ ألاَّ تؤثّر فينا بأيّ شكل من الأشكال. إلاّ أنّ ظاهرة سخيفة كي لا نقول مُضحكة مثل هذه، تصنع منّا جبناء. آن الأوان كي نعيد التّفكير في الموت، كي نتخيّل إفلاسًا أقلّ تفاهة.

تائهٌ في هذا العالم الأسفل، كما كان في وسعي، دون شكّ، أن أتوه في أيّ مكان.

ليس من إمكانٍ لأحاسيس نقيّة لدى أولئك الذين يتبعون مسالك متشابهة. يكفي أن نتذكّر النظرات التي تلقيها العابرات على نفس الرصيف بعضهنّ على بعض.

نتفطّن إلى الأشياء حين نقلق أكثر بكثير ممّا نفعل حين نشتغل. بما أنّ الجهد ألدّ أعداء التأمّل.

الانتقالُ من الاحتقار إلى عدم الاكتراث يبدو سهلاً. في حين أنّنا لسنا هنا أمام نقلةٍ بقدر ما أنّنا أمام تَحقُّقٍ وإنجاز مُدهش. الاحتقار هو الانتصار الأوّل

على العالم. عدم الاكتراث هو الانتصار الأخير، الأقصى. المسافة الفاصلة بينهما شبيهة بالطريق التي تقود الحريّة إلى التحرُّر.

لم يعترضني أيّ عقلٍ مُضطرب لم يسكنه الفُضول إلى الله. هل نستنتج من ذلك أنّه يُوجَد رابطٌ بين البحث عن المُطلق واختلال الدماغ؟

كُلُّ دودةٍ تعتقد أنّها الأولى من بين بني جنسها، تلتحق فورًا بمرتبة الإنسان.

لو قُدِّرَ لكلِّ شيء أن يُمحَى من ذهني، باستثناء الآثار التي تركَها ما انفردتُ بمعرفتِه، فمن أين ستأتي تلك الآثار إن لم يكن من الظمأ إلى عدم الوجود.

كم من الفرص ضيّعتُ للتورّط مع الله!

استمرارُ الفرحة الغامرة أكثرَ من اللزوم يُصيِّرُها أقرب إلى الجنون من الحزن الشديد، الذي يُبرَّر بالتفكير، وحتى بالملاحظة البسيطة، بينما يصدُر تطرّفُ الفرحةِ عن شيء من الاختلال. إذا كان من المقلق أن نكون فرحين

لمجرّد كوننا أحياء، فإنّ من العاديّ في المُقابل أن نكون حزانى حتى قبل أن نشرع في التمتمة.

يا لَحظّ الروائيّ أو الكاتب المسرحيّ الذي يُعَبِّرُ مُتنكّرًا، فإذا هو يتخلّص من كلّ الصّراعات علاوةً على الشخصيّات التي تتقاتل داخله. الأمر مختلف بالنسبة إلى الباحث المُحاصَر في جنسٍ جَحُود، لا يستطيع فيه عرضَ تناقضاته الخاصّة إلاّ ناقض نفسه في كلّ خطوة. نحن أكثر حريّة في الشذرة – انتصار الأنا المنفجرة...

يخطرُ ببالي في هذه اللّحظة شخصٌ أُعجبتُ به بلا تحفُّظ، لم يَفِ بأيٍّ من وُعوده، ولأنّه خيّب ظنّ كلّ من آمن به، مات راضيًا كلّ الرضى عن نفسِه.

الكلامُ يسدُّ عجز كلّ الأدوية ويشفي من أغلب الأمراض. الثّرثار لا يرتاد الصيدليّات.

نَقْصٌ مُذهلٌ في الضرورة: الحياة، ارتجال، فانتازيا المادّة، كيمياء عابرة.

أكبرُ طرافة للحبّ، طرافتُه الوحيدة، أنّه يجعل السعادة غير منفصلة عن الشقاء.

رسائل، رسائل يجب أن تُكتب.
هذه مثلاً... لكنّي لا أُفلح في ذلك: أشعر فجأة بأنّي عاجز
عن *الكذب*.

في هذه الحديقة المُخصّصةِ مثل هذا
القصر الريفيّ إلى المشاريع الخيريّة المُضحكة، لا ترى في كلّ
مكان إلاّ عجائز أُبْقِينَ قيدَ الحياة بفضل عمليّات جراحيّة. في
السابق كان الاحتضار يتمّ في البيت بكرامةٍ وفي العزلة
والإهمال. اليوم نجمع المحتضرين، نُسمّنهم ونطيل أكثر ما
يمكن احتضارهم غير اللائق.

نكاد لا نخسر عيبًا حتى يُسرع آخر
إلى الحلول محلّه. ذاك ثمن توازننا.

أصبحت الكلمات خارجةً عنّي إلى
حدّ أنّ أيّ اتّصال لي بها يتّخذ حجم الإنجاز. لم يعد لدينا ما
نقول أحدنا للآخر، وإذا ظللتُ أستخدمُها حتى الآن فما ذاك
إلاّ لأُشَهِّرَ بها، راثيًا في السرّ لقطيعةٍ ما فتئت وشيكة.

في حديقة اللكسمبورغ امرأةٌ أربعينيّةٌ
شِبْهُ أنيقةٍ وإن كانت غريبةَ المظهر، تُحدّث بنبرةٍ لطيفةٍ بل

متحمّسة شخصًا لم يكن ظاهرًا... التحقتُ بها فاكتشفتُ أنّها كانت تحتضن كلبًا صغيرًا. انتهى بها الأمر إلى الجلوس على أحد المقاعد حيث واصلت مونولوغها بالدفء نفسه. الكلمات الأولى التي سمعتُها وأنا أمرّ بجانبها كانت: «هل تدري، لم أعد أتحمّل». ابتعدتُ وأنا لا أعرف لمن أرثي أكثر: لها أم لِأمينِ سِرِّها.

سينقرض الإنسان. كانت تلك حتى الآن قناعتي الرّاسخة. في الأثناء غيّرتُ رأيي: يجب أن ينقرض.

القرف من كلّ ما هو بشريّ ينفي الإحساس بالشفقة، بل أكادُ أقول إنّهما إحساسان متضامنان، من دون أن يكونا متزامنين. وحدَهُ من يشعر بالأوّل يستطيع أن يحسّ حقًّا بالثّاني.

انتابني قبْلَ قليلٍ الإحساسُ بأنّي الصّيغة الأخيرة للكلّ. العوالم كانت تدور من حولي. لا أثر لأيّ اختلال في التوازن. إلاّ أنّه كان شيئًا *أعلى* بكثير ممّا يُسمَحُ بالإحساس به.

تهبُّ من النّوم متسائلاً إن كان لكلمة
معنى أيّ دلالة من أيّ نوع، ثمّ يدهشك بعد ذلك ألاّ تستطيع
العودة إلى النّوم!

خاصيّة الألم أنّه لا يخجل من
تكرار نفسه.

قلتُ لذاك الصديق القديم الذي
أعلن لي عن عزمه وضع حدٍّ لحياته: لا داعي للعجلة، إنّ
الشّوط الأخير من اللّعبة لا يخلو من مغريات، وإنّ من الممكن
حتى أن نتّفق مع ما لا يُطاق، شريطةَ ألاّ ننسى أبدًا أنّ كلّ هذا
مزحة، مزحة مُوَلِّدة للعذاب. . .

يُنعَتُ لويس السادس عشر بالغباء
منذ قَرْنَيْن لأنّه كتب في مُفكّرته «لاشيء» مُوجِزًا أحداث اليوم
الذي بدأت فيه نهايةُ حياته.

بناءً على ذلك نحن كلّنا أغبياء: من منّا يجرؤ على الادّعاء
بأنّه ميّز بدقّة تاريخ شروعه في الانحدار؟

كان يعمل ويُنتج. كان ينخرط في
عموميّات جماعيّة ويندهش هو نفسه من خصوبته. كان، لحسنِ
حظّه، يجهل كابُوسَ الفويرقات.

أن نكون هو انحراف واضح إلى حدّ
أنّه يكتسب مجد الإعاقة المُشتهاة.

العثور في الذات على كلّ الغرائز
الدنيئة التي يحمرّ الوجه منها خجلاً. إذا كانت تلك الغرائز بهذه الحيويّة لدى من يسعى جاهدًا للتخلُّص منها، فأي حدّة تبلغ لدى من لن يستطيعوا أبدًا مراقبة أنفسهم ولا كراهيتها، لأنّهم يفتقرون إلى القَدْرِ الأدنى من الوعي.

في ذروة النجاح أو الفشل علينا أن
نتذكّر كيف تمّ تكوينُنا. لا شيء مثل ذلك للتفوّق على النّخوة أو الحنق.

وحدَها النّبتةُ تقترب من الحكمة.
الحيوان غير قادر عليها. أمّا البشر...

كان على الطبيعة أن تقتصر على النباتيّ، عوضًا عن إفساد ذاتِها رغبَةً في ما هو غيرُ مألوف.

الشّبابُ والشّيوخُ والآخرون أيضًا،
كلُّهم فظيعون. لا يمكن ترويضهم إلاّ عن طريق التملُّق. الأمر الذي يؤدّي إلى جعلهم أكثر فظاعة.

«السّماء ليست مفتوحة لأحد...
هي لن تُفتَح إلاّ بعد اختفاء العالَم». (ترتليان)[1].

نظلّ مذهولين أمام تأكيد كهذا كيف أمكن لنا أن نواصل الاشتغال! عن أيّ عناد نتج التاريخ!

رافقتْ دوروتي دو رود-شلوزر

زوجَها رئيسَ بلديّة لوبيك إلى باريس بمناسبة الاحتفال بتتويج نابليون، فكتبت: «ثمّة عدد كبير من المجانين على الأرض وخاصّة في باريس، حتى سهُل على هذا المُشعوذ الكورسيكيّ أن يجعلهم يرقُصون على وقْع مزمارِه مثل الدُّمى المُحرَّكة. إنّهم يهرولون كلّهم على إثر حاوِي الفئران هذا ولا أحد يسأل إلى أين يأخذهم».

مراحِلُ التوسُّع هي مراحِلُ هذَيان، وعند المُقارنة تبدو مراحِلُ الانحطاط والانحسار عاقلةً بل مفرطةً في التعقّل، لذلك هي تكاد لا تقلّ عن الأخرى سوءًا.

آراء؟ أجَلْ. قناعات؟ كَلاًّ. تلك هي نقطة انطلاق الفخر العقليّ.

---

(١) ترتليان Tertullien (حوالي ١٥٥-٢٢٠ م): مؤلّف ولاهوتيّ من أُصول أمازيغيّة، وُلد وتوفّي بقرطاج، وأصبح أكبر منظّري المسيحيّة في عصره.

نتعلّق أكثر بالشخص الذي تكون
لديه غريزةُ المحافظة على البقاء مترنّحةً، كي لا نقول منهارة.

لوكريتيوس[1]: لا نعرف عن
حياته شيئًا دقيقًا. دقيقًا؟ ولا حتى غامضًا.
مصيرٌ يُحسَد عليه.

لا شيء يُقارَنُ بانبثاق الكرْب لحظةَ
اليقظة. إنّه يرجع بك مليارات السنوات إلى الوراء، يأخذك
حتى العلامات الأولى، حتى بدايات الكينونة، وفي الحقيقة،
حتى مبدأ الكرب نفسه.

«**لستَ** في حاجة إلى أن تنتهي على
الصليب، لأنّك وُلدتَ مصلوبًا». (١١ديسمبر ١٩٦٣).
أتنازل عن كلّ شيء مُقابل أن أتذكّر ما الذي بعث يأسًا
بمثل تلك البصيرة!

أصدقاء وأعداء كثيرون كانوا يولوننا
اهتمامًا متساويًا وغابوا الواحد بعد الآخر. يا له من شعور
بالارتياح! أن نستطيع أخيرًا إطلاق العنان لأنفُسِنا! أن نكفّ عن
التحسّب من رقابتهم أو خيبتهم.

---

(١) لوكريتيوس Lucrèce (حوالي ٩٩-٥٥ ق م): شاعر وفيلسوف رومانيّ.

أن نسلّط على أيّ شيءٍ بما في ذلك الموت، أحكامًا لا رجعة فيها، هي الطريقة الوحيدة كي لا نغشّ.

يرى أسانجا[1] ومدرستُه أنّ انتصار الخير على الشرّ ليس سوى انتصار المايا على المايا. كذلك فإنّ وضع حدّ للتحوّل الباطنيّ عن طريق الاستنارة، شبيهٌ بـ«مَلِكٍ للإيهام ينتصر على ملكٍ للإيهام». (ماهايانا سوترالامكارا).

كانت لهؤلاء الهنود الجرأة كي يضعوا الوهم في هذا المستوى الرّفيع، كي يجعلوا منه بديلاً عن الأنا وعن العالم، وكي يترجموه إلى مُعطًى أعلى. ترجمة عبثيّة ومرحلة نهائيّة بلا منفذ. ما العمل؟ كلّ نهاية، وإن كانت الحريّة، مأزق. كيف الخروج منه للحاق بالممكن؟ ربّما كان لابدّ مِن: الهبوط بمستوى الجدل، منح الأشياء ظلاً من الواقع، التقليص من هيمنة البصيرة، التجرُّؤ على الزعم بأنّ كلّ ما يبدو موجودًا هو موجود فعلاً على طريقته، ثمّ، تغيير الموضوع بعد الإعياء من الهذيان. . .

(١) أسانجا (Asanga): يَعتبره الكثيرون شمسًا من شموس البوذية الثلاث. أصيل بيشاور الحاليّة. والماهايانا سوترالامكارا، أحد الكُتُب المنسوبة إليه.

هذه البصيرة المشؤومة

ما من حدثٍ إلاّ وهو علامة أخرى
سيّئة. إلاّ أنّ استثناءً يظهر بين الحين والآخر، ينفخ فيه المُعلِّقُ
كي يخلق وهمًا باللاّ مُتَوَقّع.

ليس من دليلٍ على أنّ الحسَدَ
كونيٌّ، أفضل من أنّه يُلاحَظُ حتى لدى المجانين، في تلك
اللّحظات الخاطفة من الوعي.

تفتنُنا الأشياءُ غيرُ العاديّة كلُّها،
وعلى رأسها الحياة، الشّيءُ غيرُ العادِيّ بامتياز.

نَقِفُ فنُقِرُّ من دُونِ تَباكٍ بأنّ كُلّ
لحظةٍ تعبُرُ لحظةٌ تتلاشى إلى الأبد. نضْطجِعُ فيبدو لنا هذا
اليقين غير مقبول إلى حدّ أنّنا نتمنّى ألاّ نقف من جديد أبدًا.

العَوْدُ الأبدِيُّ والتقدُّم: نموذجان
لِلاَّمعنَى. ماذا يتبقّى؟ الاستسلام للسّيرورة، لمفاجآت لا
مفاجآت فيها، لنكباتٍ تودّ أن تكون غير مألوفة.

لو بدأنا بالقضاء على كلّ الذين لا
يستطيعون التنفُّس إلاّ على منصّة!

مُحْتَدٌّ طبْعًا متذبْذِبٌ اختيارًا. إلى
أيّ ناحية أمِيل؟ إلى من أنحاز؟ مع أيّ *انا* أَصْطَفّ؟

لابدّ من فضائل ورذائل عنيدة كي
نبقى على السّطح، كي نُنقِذ ذلك المظهر النَّشِط الذي نحتاج إليه
للصّمود في وجه مجد الغرق أو الشّهقة.

«**أنت** دائمُ الحديث عن الله، هي
ذي كلمة ما عدتُ أستخدمها». هكذا كتبت لي راهبة سابقة.
الحظُّ في القرف من هذه الكلمة ليس مُتاحًا للكلّ.

السّخريةُ، تلك الوقاحةُ الدّقيقةُ
المسمومةُ بمقدار، تتمثّل في فنّ معرفة التوقّف. إنّ أدنى تعمّقٍ
يُطيح بها. إذَا ملتَ إلى الإلحاح قامرتَ بأن تغرق معها.

أرْوَعُ ما في الأمر أنّ كُلَّ يوم يأتينا
بسبب جديد للاندثار.

.

بما أنّنا لا نتذكّر إلاّ الإهانات
والهزائم، فأيّ فائدة كانت من البقيّة؟

التساؤلُ عن عمق أيّ شيءٍ مهما
كان يمنحك الرّغبة في أن تتمرّغ في التّراب. تلك كانت على
أيّ حال طريقتي سابقًا في الإجابة عن الأسئلة الأساسيّة،
الأسئلة التي ليس لها جواب.

فتحتُ كتابًا مدرسيًّا عمّا قبل
التاريخ، فوقعتُ على نماذج من أسلافنا، مرعبة بامتياز. ليس
من شكّ في أنّهم هكذا كان يجب أن يكونوا. أغلقتُ الكتاب
فورًا، خجلاً وتقزّزًا، على الرغم من يقيني بأنّي سأفتحه من
جديد كلّما عنّ لي التأمُّل في سيرورة فظاعاتنا وجرائمنا.

الحياةُ السريّة للحياة المُضادّة،
وهذه الكوميديا الكيمائيّة، تنخرُنا وتُفْزِعُنا عوضًا عن دفعنا إلى
الابتسام.

الحاجةُ إلى افتراس أنفُسنا تغنينا عن الحاجة إلى الإيمان.

لو كان الغيظُ صفةً ممنوحةً من أعلى، لكنتُ تخطّيتُ منذ مدّة وضعي كفانٍ.

يمكن للوجود أن يُبرَّر لو تصرّف كلٌّ منَّا وكأنّه آخرُ الأحياء.

رَوَى إغناطيوس دو لويولا[١] أنّه وقع فريسة هواجس لم يُسهب في تبيانها، ففكَّرَ في تدمير نفسه. حتّى هو!

يبدو في نهاية الأمر أنّ هذا النزوع أكثر انتشارًا وتجذُّرًا ممّا نظنّ. إنّه في الواقع شرفُ الإنسان في انتظار أن يُصبح واجبَه.

لا يميل إلى العمل إلاّ المخدوع في نفسِه الذي يجهل الدّوافع السرّيّة لأفعاله. ما إن يُصبح الخالقُ شفّافًا بالنّسبة إلى نفسه حتى يكفّ عن الخلق. معرفةُ الذّات تُزعج الشّيطانِ. هنا يجب أن نبحث عن السّبب الذي جعل سقراط لا يكتب شيئًا.

---

(١) إغناطيوس دو لويولا Ignace de Loyola (١٤٩١-١٥٥٦): فارس إسبانيّ، مؤسّس «اليسوعيّة».

أن يكون في وسعِنَا أن نُجرَح من
طرف أولئك الذين نحتقرهم تحديدًا، أمرٌ يُجرّد الكبرياء من كلّ
مصداقيّة.

في كتاب مثيرٍ للإعجاب مترَجمٍ عن
الانكليزيّة، هِنَةٌ واحدة: «هُوِيّ الشكوكيّة». كان ينبغي أن يقول
الشكّ، لأنّ كلمة الشكوكيّة تتضمّن في الفرنسيّة أثَرًا من دلالة
الهِواية، وربّما الاستهتار، لا يمكن ربطُهُ بفكرة الهاوية.

الشّغف بالقوالب يتضاعف بالتّزامُن
مع الضّعف تجاه التعريفات، تُجاه ما هو الأقلّ صلةً بالواقعيّ.

كُلُّ ما يمكن تصنيفه قابلٌ للهلاك.
لا يدوم إلاّ ما يحتمل أكثر من تأويل.

في مواجهة الورق الأبيض: أيّ
وَاتِرْلُو في الانتظار!

حين نتحدّث مع شخصٍ علينا ألاّ
نغفَل في كلّ لحظةٍ عن كونِهِ مهما بلغ من الكفاءة، لا يختلفُ
في ردود فعله العميقة عن أيٍّ من الفانين العاديّين. علينا أن

نُراعِيَ شُعُورَه من باب الحذر لأنّه مثل أيٍّ كان، لن يتحمّل الصّراحة، السّبب المباشر لمعظم الخصومات والضغائن.

أن أكون أشرفتُ على كلّ أشكال
الانحدار، بما في ذلك النجاح.

لا نملك أيّ رسالة لشكسبير. ألم
يكتب واحدة؟ كان بِودّنا أن نسمع هملت يشتكي من كثافة البريد.

الفضيلةُ الفوريّة للنّميمة أنّها تصنع
الفراغ من حولك، من دون أن يكون عليك أن تحرّك ساكنًا.

قرفٌ يائس أمام الجموع، منشرحةً
كانت أم مُكْفَهِرَّة.

كلّ شيء يتدهور منذ الأزل. ما إن
نقوم بهذا التشخيص حتى يُصبح في إمكاننا، بل من واجبنا، التفوّه بأيّ مُبالغة.

إذا كانت الأحداث تتجاوزنا في كلّ
الأحيان تقريبًا، فلأنّه يكفينا الانتظار كي ندرك أنّنا ارتكبنا جريمة السّذاجة.

الشغفُ بالموسيقى هو في حدّ ذاته اعتراف. نحن نعرف عن شخص يتعاطاها أكثر بكثير ممّا نعرف عن شخصٍ لا يتأثّر بها، وإن عاشرناه كلّ يوم.

في أقاصي الليل. لا أحدَ بَعْدُ عَدَا مجتمعٍ من الدّقائق. كلٌّ واحدةٍ منها تتظاهر بمرافقتنا ثمّ تلوذ بالفرار- هرَبٌ تلو هَرَب.

الحُكْمُ الموضوعيّ على الأشياء ينمّ عن اختلال مُقلق. أن يُقال هذا حيٌّ كأن يُقال هذا منحاز. الموضوعيّةُ ظاهرةٌ متأخّرة، علامةٌ منذرة بالخطر، إنّها بداية استسلام.

ينبغي أن نكون غافلين عمّا يحدثُ غفْلَةَ ملاكٍ أو أحمق، كي نظُنَّ أنّ الرحلة البشريّة يمكن أن تنتهي على خير.

مزايا الكاهن المبتدئ ترتقي وتتدعّم بتأثيرٍ من قناعاته الجديدة. هو يعرف ذلك. ما لا يعرفه أنّ عيوبه تزداد بنفس النّسبة. من ثَمَّ تأتي خيالاته وخيلاؤُه.

«**يا** أبنائي، الملح يأتي من الماء،
وإذا اقترب من الماء ذاب وتلاشى. كذلك الرّاهب يأتي من المرأة، وإذا اقترب من المرأة ذابَ وكَفَّ عن أن يكون راهبًا».

يبدو أنّ جان موشوس[1] هذا، أدرك في القرن السّابع، الخطرَ الذي سبقت الإشارة إليه في سفر التكوين، أفضلَ من ستريندبرغ أو فينينجر اللذين جاءا بعده بكثير.

ما من حياةٍ إلاّ وهي تاريخ انحدار.
إذا كانت السِّير الذاتيّة تشدّنا إلى هذه الدرجة، فلأنّ الأبطال مثل الجبناء، ملتزمون بالتجديد في فنّ السّقوط.

يخيبُ ظنُّنا في الجميع فإذَا لا
مناصَ من أن يخيب ظنُّنا فينا. إلاّ إذا كنّا قد بدأنا من هناك.

«**منذُ** شرعتُ في مراقبة البشر وأنا لا
أتعلّمُ إلاّ المزيدَ من حبّهم». هكذا كتب لافاتير[2] أحد مُعاصري

(١) يوحنا موشوس Jean Moschus (حوالي ٥٥٠-٦١٩) : راهب سوريّ من أعلام الكنيسة الشرقية. - أوغست ستريندبرغ Strindberg (١٨٤٩-١٩١٢): روائيّ وكاتب مسرحيّ سويديّ. - أوتو فينينجر Otto Weininger (١٨٨٠-١٩٠٣): فيلسوف وكاتب نمساويّ.

(٢) يوهان غاسبار لافاتير Lavater (١٧٤١-١٨٠١): عالم دين سويسري يكتب بالألمانية. اشتهر بكتابه عن علم الفراسة.

شامفور[1]. ملاحظةٌ مثل هذه، وإن بدتْ عاديّةً لدى ساكن بلدةٍ سويسريّة، لا تخلو من بعض السطحيّة الوقِحة بالنسبة إلى باريسيٍّ معتادٍ على ارتياد الصّالُونات.

الحسرةُ على أنّه لم يُخدَع كالآخرين، الغيظُ بسبب سداد النظر، تلك هي المحنةُ التي يتكتّم عليها كلُّ عائدٍ من الضَّلال.

كيف أمكن لي أن أرضَى ولو للحظةٍ بما هو غير أبديّ؟ - مع ذلك فهو ما يحدث لي في هذه اللّحظة تحديدًا على سبيل المثال.

كُلٌّ منّا يتشبّث بسُوءِ طالعِه قَدْرَ مُسْتَطاعِه.

كلّما تقدّمنا في السنّ، ازددنا إدراكًا لتوهُّمِنا بأنّا تحرّرنا من كلّ شيء في حين أنّنا لم نتحرّر من أيّ شيء.

---

(١) نيكولا دي شامفور (Nicolas de Chamfort): شاعر ومُفكّر فرنسيّ (حوالي ١٧٤٠-١٧٩٤). شارك في الثورة الفرنسية لسنة ١٧٨٩ وانتحر كي لا يدخل السجن، واشتهر بكتابه «حِكَم وأفكار».

يجدُرُ بنا أن نمتنع عن التّخطيط
لأيّ مشروع في كوكبٍ نخرته الغنغرينا. إلاّ أنّنا نداوم على فعل
ذلك، بما أنّ التّفاؤلَ عادة مُستحكِمةٌ لدى المحتضرين.

التامُّلُ حالةُ يقظةٍ يُحافظ عليها
اضطرابٌ غامض، هو في الوقت نفسه خرابٌ وبَرَكة.

كان يرفض أن يعيش مُنقادًا لله.

الخطيئةُ البدئيّة والتّناسُخ: كلاهما
يجعل المصير نوعًا من التّكفير، ولا يهمّ إن كان الأمر متعلّقًا
بخطأ الإنسان الأوّل أم بالأخطاء التي ارتكبناها في كينوناتنا
اللاحقة.

الأوراقُ الأخيرة تَسْقُطُ رَقْصًا. لابدّ
من انعدام حسّ كبير كي نواجه الخريف.

نعتقد أنّنا نتقدّم من هذه الغاية أو
تلك، ناسين أنّنا لا نتقدّم في الواقع إلاّ من الغاية نفسِها،
وبعبارة أخرى، من هزيمة كلّ الغايات الأخرى.

الألمُ لا يكون أبدًا غير واقعيّ، من
ثمّ هو تحدٍّ للقصّة الكونيّة. كم هو محظوظٌ بكونِهِ الإحساس
الوحيد الذي يملك مضمونًا، إن لم يكن معنًى.

الوهَن – هذه الكلمة المشحونة بكلّ
فويرقات انهيار القُوى، كانت مفتاحَ سنواتي، شعارَ لحظاتي،
وشجاعتي السلبيّة، وإبْطَالِي كُلَّ غد.

نكُفُّ عن الرغبة في أيّ عملٍ فنلوذ
بالموسيقى، تلك العناية الإلَهيّة الخاصّة بفاقدِي الإرادة.

لمّا كان الإصرارُ على البقاء في
الوُجُود قد أخذ يفقد دعائمه أكثر فأكثر، فإنّ خَلَفَنَا سيجدُ سهولةً
أكبر في التخلّص من كلّ هذا العناد.

ما إن يُلامِسَنا يقينٌ حتى نكفّ عن
الارتياب في أنفسنا وفي الآخرين. الثّقةُ مهما كان شكْلُها مصدرُ
عملٍ ومن ثَمَّ هي مصدرُ خطأ.

نلتقي شخصًا حقيقيًّا فتبلغ بنا
الدهشة حدَّ التّساؤل إن لم نكن ضحيّة انبهار.

أيّ جدوى من إحصاء كُتب التعزية
بما أنّها أكثر من أن تُحصَى ولا يُعتَدُّ فيها إلاّ بكتابين أو ثلاثة؟

إذَا لم ترد أن تموت غيظًا فدع
ذاكرتك في سلام. امتنع عن التّنقيب فيها.

كلُّ مَا يتَقيَّدُ بقوانين الحياة، أي كلُّ
ما هو آيلٌ إلى التعفُّن، يثير فيّ أفكارًا تبلُغُ من التناقُض حدَّ
الإشراف على البلبلة الفكريّة.

أن أعيش خائفًا من الإحساس
بالسَّأم في كلّ مكان، حتى في الله... أرى فيما يسكُنُنِي من
هذا القلق الأقصى سببَ عجْزِي عن التحقُّق الرُّوحِيّ.

هل أختار الأبيقوريّة أم الرِّواقيّة؟ بل
أنتقل من إحداهما إلى الأخرى وأظلّ في أغلب الأحيان وفِيًّا
لكلتيهما. - وتلك طريقتي في اتّباع قَواعِدِ السُّلوك التي آثَرَهَا
الأَقْدَمُون قبل تَفَجُّرِ العَقائِد.

ليس من شكٍّ في أنّ وَضْعَ العَطالة
يَحْفَظُنَا من التّضخّم الذي يقع فيه الكثيرون بسبب الإفراط في
العُجْبِ أو في العمل أو في الموهبة.

وإنّه لَمِنْ أسباب الزَّهْو إن لم يكن من أسباب العزاء، أن نوهم أنفُسنا بأنّنا نموت دون أن نكون أفرغْنَا كلّ ما في جعبتنا.

أن أكون صرختُ بشكوكي من فوق كلّ السّطوح، مع ادّعاء الانتماء إلى مدرسة التَّحَفُّظ التي تمثّلها الشّكوكيّة!

الخدمةُ الهائلة التي يسديها إلينا المزعجون، سُرّاقُ وَقْتِنا، حين يمنعوننا من تَرْكِ صورة كاملة عن قدراتنا.

يجُوزُ لنا أن نحبَّ أيًّا كان، باستثناء أشباهِنا، لأنّهم يشبهوننا تحديدًا.

هذا يكفي لنفهم لماذا كان التاريخ على ما هو عليه.

أغلبُ أمراضنا قادمٌ من بعيد، من هذا السّلف أو ذاك من أسلافنا وقد أهلكته إفراطاته. نحن نُعاقَب على تجاوُزاته: ما من حاجةٍ إلى أن نشرب فلابدّ أنّه شرب عوضًا عنّا. وهذا الثَّمَلُ الذي يفاجئنا إلى هذا الحدّ هو الثّمن الذي ندفعه نحن مُقابل نشواته هو.

ثلاثون سنة من النّشوة أمام السّيجارة. اليوم أرى الآخرين ينحنون أمام أيقونتي القديمة فلا أفهمهم وأعتبرهم مخبولين أو حمقى.

إذا أصبحت «الرّذيلة» التي انتصرنا عليها غريبة عنّا إلى هذا الحدّ، فكيف لا نقف واجمين أمام الرّذائل التي لم نمارسها؟

لِمُراوغة الكآبة علينا أن نتحرّك بلا انقطاع. ما إن نتوقّف حتى تستيقظ، هذا إن كانت قد نامت أصْلاً.

الرّغبةُ في العمل لا تنتابُني إلاّ حين أكون على موعد. أذهب إلى موعدِي دائمًا وأنا على يقين من أنّي أضيّع فرصتي الوحيدة لتجاوز نفسي.

«لا أستطيع أن أستغني عن الأشياء التي لا أهتمّ بها». هكذا كان يروقُ للدوقة دو ماين[1] أن تُردّد.

الاستهتارُ إلى هذا الحدّ مقدّمةٌ نحو الزهد.

---

(١) لويز دو بوربون (١٦٧٦-١٧٥٣): أميرة فرنسية تزوّجت الدوق دو ماين أيّامَ لويس الرابع عشر.

لو أتيح لكُلِّيّ القُدْرة أن يتخيّل كم
يثقلُ عليّ أحيانًا النُّهوضُ بأدنى فعل، لما تردّدَ، في نوبةِ رحمةٍ،
عن التّنازل لي عن مكانه.

ما دُمْنَا لا نعرف إلى أين نتّجه،
فلْنَخْتَرَ التفكير المتقّطع، باعتبارهِ انعكاسًا لزمنٍ يتطايرُ شظايا.

مَا أعرفُ يُدمِّرُ ما أُريد.

بعد العودة من حَرْق جثمان.
انخفاض فوريّ لقيمة **الأبديّة** ومعها كلّ الألفاظ الفخمة.

وَهَنٌ لا يُوصف ثمّ تمدُّدٌ إلى ما
وراء حدود العالم وإلى ما وراء قدرة الدماغ على الصُّمُود.

فكرةُ الموت تستعبد من تسكنهم.
إنّها لا تُحرِّر إلاّ في البداية، ثمّ سرعان ما تتدهور إلى وسواسٍ
فتكفّ هكذا عن أن تكون فكرة.

العالَمُ حادثةٌ إلهيّة، *Accidens Dei*–
كم تبدو عبارة ألبيرت الكبير[1] صحيحة!

بفضل الكَرْب نتذكّر الدناءات التي دفنّاها في أعمق أغوار الذاكرة. الكَرْبُ نَبّاشٌ عن معرّاتنا.

في أوردتنا تجري دماءُ المَاكاك[2].
لو أدَمْنَا التفكير في ذلك لانتهى بنا الأمرُ إلى الاستقالة. لا تيولوجيا بعد، لا ميتافيزيقا. – الأحرى أن نقول لا هذيان بعد، لا كِبْرَ، لا مُغالاة، لا شيء...

هل من المعقول أن تعتنق دِينًا أسّسهُ آخَر؟

ما يغفر لتولستوي الواعظ أنّه اكتسب مُرِيدَيْنِ استخلصا النتائج العمليّة لعِظاتِه: فيتغنشتاين وغاندي. الأوّل وزّع كلّ ممتلكاته والثّاني لم تكن له ممتلكات كي يوزّعها.

---

(١) ألبيرتوس ماغنوس (Albertus Magnus، حوالي عام ١٢٠٠ – ١٢٨٠)، معروف أيضا باسم القديس أليبرت الكبير، من أكبر اللاهوتيّين والفلاسفة الألمان في العصور الوسطى.
(٢) قردٌ من فصيلة الهجرسيات.

العالَمُ يبدأ وينتهي بنا. لا يوجد إلاّ وعيُنَا. هو الكلّ والكلُّ يندثر معه. حين نموت لا نغادر شيئًا. لماذا إذن كلّ هذه الضجّة المُصطنعة حول واقعة ليست بواقعة.

تأتي لحظةٌ لا نقلّد فيها إلاّ أنفُسنا.

نَهُبُّ من النّوم فلا يمكننا العودة إليه إلاّ إذا نحّينا جانبًا كُلَّ رغبة في التفكير، كُلَّ بدايةٍ لفكرة. لأنّ الفكرة المُتجلّية، الفكرة الخالصة، هي ألدّ أعداء النّوم.

لِلمَغْمُورِ شخصيّةٌ ساخطة تجعلُهُ ينسبُ كُلَّ شيء إلى نفسِه. سُخريتُهُ لن تُعادِلَ المدائح التي لا يكفّ عن إغداقِها على شخصِهِ تعويضًا سخيًّا عن تلك التي لا يوجّهها إليه الآخرون. إلينا بالمحظوظين، النّادرين والحقّ يُقال، الذين تفوّقوا فأصبحوا قادرين على الانسحاب. على أيّ حال، هم لا يتفانون في الصراخ، وغرورُهم يعزّينا عن سُخْطِ المغمورين.

إذا كُنّا نقع بين الحين والآخر في غواية الإيمان فلأنّه يقترح علينا إهانةً بديلاً: وذلك لأنّ من الأفضل في كلّ الأحوال أن نكون في موْقِعٍ دُونيٍّ أمام إلهٍ من أن نكون كذلك أمام بشَرِيّ.

لا نستطيع مُواساةَ شخصٍ إلاّ إذا سايرناهُ في مُصابِهِ إلى أن يرفض أن يظلّ مُصابًا.

تلك الذّكريات التي تنبثق من دون داعٍ ظاهر، ما فائدتُها إن لم يكن مُكاشفتنا بأنّنا مع التقدّم في السنّ نُصبح خارج حياتنا، وبأنّ تلك «الوقائع» البعيدة لم يعد لها أيّ صلة بنا، وبأنّ هذه الحياة نفسها ستبدو لنا كذلك ذات يوم؟

قولُ المتصوّف «الكُلُّ لا شيء»، ليس سوى مُقدّمةٍ للحلول في الكلّ الذي يُصبح موجودًا بأعجوبة، أي كُلًّا حقًّا. هذا التحوّلُ لا يمكن أن يحدث في داخِلي، بما أنّ الجزء الإيجابيَّ النّورانيَّ للتصوّف ممنوعٌ عنّي.

بين ضرورةِ أن نكون واضحين وغوايةِ أن نكون غامضين، يستحيل أن نحسم في شأن الأجدر بالمزيد من الاهتمام.

نستعرضُ كُلَّ من يمكن أن نغار منهم، فنلاحظ أنّنا لا نرغب في تغيير مصيرنا مقابل أيّ مصير آخر. الجميع يتصرّفون بهذه الطريقة. كيف نفسّر إذن أن يكون الحسدُ أقدم العاهات وأقلّها تَلَفًا؟

ليس من السهل ألاَّ نحمل على

صديق شَتَمَنَا في نوبة جُنون. مهما كَرَّرْنا أنّه لم يكن في طورهِ فإنّنا نتصرّف وكأنّه كشف لنا لأوّل مرّة عن سرٍّ كان يحرص على كتمانه.

لو كان الزّمنُ ميراثًا أو ملْكيّةً لكان

الموتُ أسوأ أشكال السَّلْب.

تَخَلِّينَا عن الانتقام لا يُرضي

غُرورَنا إلاّ قليلاً، بما أنّنا لن نعلم أبدًا إن كان تصرّفُنا بناءً على النُّبل أو بناءً على الجُبْن.

المعرفة أو جريمة التَّطَفُّل.

عبثًا نُعوِّلُ على إمكانيّة أن نكون

لوحدنا. نحنُ مَخْفُورُون دائمًا بذاتنا.

لا إمكانَ لصراعٍ من دون إرادة: ما

من تراجيديا مع خائري العزْم. غير أنّ قُصورَ الإرادة يمكن أن يُؤثّر فينا بشكلٍ أكثر إيلامًا من مصيرٍ تراجيديّ.

نتلاءمُ بشكل أو آخر مع أيّ فشلٍ
باستثناء الموت، الفشل الأقصى.

نرتكب دناءةً فنتردّد في الإقرار بها
وفي تعيين المسؤول عنها. نَتُوهُ في تأمُّلاتٍ بلا حدٍّ هي ليست
سوى دناءة إضافيّة وإن خفّفت منها بهلوانيّاتُ الخزي والتأنيب.

أيّ شعور بالارتياح حين نكتشف
على عتبة الفجر ألاّ فائدة من الذهاب إلى عُمْقِ أيّ شيء.

لو لم يكن ما نسمّيه الله رمزَ العزلةِ
بامتيازٍ لما أوليتُه البتّة أيّ اهتمام. لكن أنَّى لي، وأنا المفتون
منذ القِدَم بالمُسُوخ، أن أُهمِلَ خصمها الأكثر عزلةً منها كلّها؟

كُلُّ انتصار هو أكذوبةٌ بشكل أو
آخر. إنّه لا يؤثّر فينا إلاّ سطحيًّا، بينما الهزيمة مهما تضاءل
حجمُها تُصيبنا في أعمق ما فينا، حيث تحرص على ألاّ تُنسى
بشكلٍ يجعلنا نستطيع أن نعوّل على صحبتها مهما حدث.

كَمُّ الفراغ الذي راكمتُهُ مع المحافظة
على وضعي كفرد! معجزةُ ألاّ أكون قد انفجرتُ تحت ثقل كلّ
هذا اللاوجود!

لولا رائحةُ المرض العُضال التي
تصاحبُه، لكان القلقُ أقلَّ ما يُمْكِنُ تحمُّلُهُ من البلايا.

وَعْيِي بِعَدَمِ جَدارتِي يسحقُني. لا
حُجّةَ تأتي لتدحضه أو تخفّف منه. عبثًا كنتُ أذكر هذا الإنجاز
أو ذاك. «لستَ سوى ممثّل ثانويّ»، هكذا كان يردّد على
مسمعي صوتٌ شديدُ الوُثوق. حين خرجتُ عن طوري أخيرًا
أجبتُهُ بالتّفاصُح المطلُوب: «مُعامَلَتِي بهذه الطريقة زادت عن
الحدّ. هل في وسع أيٍّ كان حقًّا أن يكون، في انتظار مصيرٍ
فضل، العدوّ الألدّ للكوكب؟ ماذا أقول؟ للكون؟»

أن تموت، برهانٌ على أنّك تعرف
مصلحتك.

اللحظةُ التي تنفصل عن كلّ
اللحظات الأخرى، التي تتحرَّرُ منها وتخونُها، - بأيّ فرحةٍ
نُحَيِّي خيانتَها!

لو كان في وسع المرء أن يعرف
توقِيتَ دماغه!

لا أحدَ يستطيعُ أن ينتصر على
تناقُضاتِه إلاّ إذا تغيّر رأسًا على عقب، وهو ما لا يحدث أبدًا.
وحده الموتُ يُساعد على ذلك وثَمَّ هو يُسجّل نقاطًا ويتفوّق
على الحياة.

أن تكون اخترعتَ الابتسامةَ القاتلة.

طيلة آلاف السنين لم نكن إلاّ
فانِين. ها نحن نرتقي أخيرًا إلى مرتبة المحتضرين.

حين يخْطُرُ بالبالِ أنّه كان في وسعنا
إعفاء أنفُسنا من أن نعيش كُلَّ ما عشناه!

ذُبابةٌ صغيرة كانت تتحرّكُ بأقصى
سُرعة على تلك الورقة البيضاء. «لماذا هذه العجلة؟ إلى أين
تذهبين؟ عَمَّ تبحثين؟ دَعْكِ من كلّ هذا». هكذا صرختُ في
عتمة الليل. كم كنت أفرَحُ لو خارت عزيمتُها. إنّه لأصعب ممّا
نعتقد أن يكون لنا مريدُون.

ألاّ يكون لنا أيُّ شيءٍ مشترك مع
الكلّ، وأن نتساءل، باسم أيِّ اختلالٍ نحن جزءٌ منه.

«لماذا الشذرات؟» هكذا عاتبني ذلك الفيلسوف الشابّ. - «بسبب الكسل، بسبب الاستهتار، بسبب القرف، وكذلك بسبب أمور أُخرى...» - ولمّا لم أجد سببًا آخر، اندفعتُ في شروح مُسْهبة بدت له جديّة وانتهت إلى إقناعه.

الفرنسيّة: لغةٌ مثاليّة للترجمة بدِقّة عن مشاعر ملتبسة.

داخِلَ اللغة المُستعارة أنتَ على وعيٍ بالكلمات. إنّها موجودة خارجَكَ لا فيك. بوساطةِ تلك المسافة بينك وبين وسيلتك للتعبير، تفهمُ لماذا يصعب وربّما يستحيل أن تكون شاعرًا في لسانٍ غير لسانِك. كيف تستخرج جوهرًا من كلمات ليست متجذّرة فيك؟ الوافدُ الجديد يعيش على سطح القوْل. إنّه لا يستطيع في لغةٍ تعلّمَها مؤخّرًا، أن يُترجم عن ذلك الاحتضار الباطنيّ الذي ينبثق منه الشعر.

اِلْتَهَمَكَ الحنينُ إلى الفردوس من دون أن تكون عرفتَ نوبةً واحدةً من الإيمان الحقيقيّ.

باخ في قبره. أُتِيحَ لي إذَنْ أن أراه مثل آخرين بفضل بعضِ التطفُّل الذي اعتاده حفّارُو القبور

والصحفيّون. منذئذ وأنا أفكّر بلا انقطاع في مَحْجِرَيْهِ اللذين لم يُميّزْهما شيء، عدا أنّهما كانا يعلنان العدم الذي كان هو ينكره.

طالَما ظلّ إلهٌ واحدٌ واقفًا فإنّ مهمّة الإنسان لن تنتهي.

يتوسّعُ مُلْكُ المُغْضِلِ في رأي العين. إلاّ أنّ الرِّضَى الذي نشعر به من وراء ذلك ليس تامًّا. هل مِنْ برهان أفضل على أنّنا منذ البدء مُلوَّثُون بالأمل؟

وبعْدُ، فإنّي لم أضيّع وقتي. تَهَزْهَزْتُ أنا أيضًا، مثل أيٍّ كانَ في هذا الكون الأعوج.

الفهرس

هذا الكتاب

أفضل طريقة للتخلّص من عدوٍّ أن تمدحه في كلّ مكان. سيُنقَلُ إليه ذلك فيفقد القدرة على الإساءة إليك. هكذا تكون حطّمتَ دافعه.

سيواصل التهجُّم عليك لكن بلا حماسة ولا دأب، لأنّه كفَّ لا شعوريًّا عن كراهيتك. إنّه مهزوم يجهل هزيمته.


ISBN 978-9933354251

